
صفات المتقين
في نظر أهل البيت عليهم السلام
الشيخ
عبد الرحيم الفضلي
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
الأندلس
بيروت - لبنان
النجف الأشرف

صفات المتقين

في نظر أهل البيت عليهم السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

صفات المتقين

في نظر أهل البيت عليهم السلام

الشيخ

رحيم الفضلي



بيروت - لبنان / العراق - النجف الأشرف

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



مؤسسة الأندلس للمطبوعات

الحاج مسلم الحاج حميد الدجيلي
النجف الأشرف - مقابل مكتب السيد السيستاني
هاتف: ٣٧٢٥٣١ - ٠٧٨٠٣٥٦٩١٦٣

بيروت - لبنان شارع دكاش - قرب جامع الحسنين ﷺ
النجف الأشرف مقابل حرم أمير المؤمنين (ع)

Published By alandalos Library
Beirut - Lebanon - Najaf Alachraph - Iraq

E - mail:daralendls@yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1]

صدق الله العلي العظيم



(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

إهداء

إلى من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم..

إلى من حبهُ معروف وواجب..

إلى أعز موجود في قلبي..

إلى من أمل شفاعتهُ عند ربي..

إلى نبي الرحمة..

إلى أبي القاسم محمد ﷺ

اللهم أنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، وإني أتيتك مستغفراً تائباً من ذنوبي، وإني توجهت بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي..

المؤلف

رحيم الفضلي



(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

بين يدي كتاب: «صفات المتقين في نظر أهل البيت عليهم السلام»، لمؤلفه الشيخ الجليل الفاضل الشيخ عبد الرحيم الفضلي (حفظه الله تعالى) من كلِّ سوء.

وقد قرأته بأكمله واستفدت منه، وأرجو أن أكون ممن يحمل صفاته بالعمل لا بالكلام، وقد خنقتني العبرة عند قراءة أكثر فصوله لعلمي بالفاصل بين صفات المتقين وصفاتي. وقد ساعدني على الالتزام ببعض ما قرأت، وأين لي الالتزام بكلِّ ما قرأتُ؟ فإن ذلك يحتاج إلى مقدمات وتوفيق إلهي نرجو أن نحصل عليها قبل فوات الأوان وبعد:

١ ـ فإن الكتاب سيحمل عنوانه ومعنوناته، وليس فيه أي شائبة يُحذر منها.

٢ ـ لم يوجد في الكتاب ما يعكّر الهدف منه، فليس فيه فصل يوجب إرسال نار إلى بقية فصوله فيحرقها كما رأينا ذلك في بعض الكتب التي فيها فصل أحرق كلّ فصول الكتاب المتقدمة عليه، بمعنى أن الكتاب له هدف وقد روعي هذا الهدف بدون أن يحرق.

٣ ـ أوصي قارئ هذا الكتاب بالتأني بقراءته والتعهد والالتزام بالعمل بما فيه، فإنه سيحمل بين جنبيه الهدى والرشاد والخير الكثير.

٤ ـ أنا أعلم علم اليقين أن العسير لا يسهله إلا العزم والإصرار على فعل العسير، لذا فإن عزمك يا أيها القارئ العزيز سيكون له الأثر في تسهيل العمل بهذه الصفات، فإنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، ما حملها شخص إلا وكان مثالاً يُقتدى به، فإنها صفات أهل التقوى والصلاح.

٥ ـ إن التقوى وصفات المتقين هي إحدى رأسمال طالب العلم، وأما الصفة الثانية له هي العلم الموصل إلى الكمال، فرأسمال طالب العلم هو العلم والتقوى، إن حصل عليهما فرد تمكّن من اقتحام موجات الفتن في هذا البحر المتلاطم من الموبقات، عصمنا الله وإياكم من الزلل وقلّة العمل.

٦ ـ ورجائي الأكيد من مؤلف الكتاب وقارئه والعامل به والمحب لصفات المتقين أن يدعو الله لي بالتوفيق في تحمّل صفات المتقين، كما أنني بدوري أُهنئ مؤلف هذا الكتاب على توفيق الله تعالى له لكتابة هذا الأثر الصالح الذي سيكون من ذخيرة أعماله الصالحة سينشرها ويعمل بها إن شاء الله تعالى.

ولهذا أرجو من الله أن يكتبنا معاً من الفائزين ببركة هداية ربِّ العالمين والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حسن محمد تقي الجواهري

٢٨/ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله المتقى الذي لا يتقي، الحمد لله بما حمده المتقون، حمداً يصعد أوله ولا ينتهي آخره. أحمدك يا إلهي حمد المتقين الأخيار، وأُسبحك تسبيح الأئمة الأنوار، يامن بتقواه صلح أمر الأولين والآخرين، يا من يتقيه سكان السماوات والأرضين، صلّي على سيد المتقين من الخلق أجمعين محمد ونفسه عليّ إمام المتقين من الأولين والآخرين.

أما بعد...

إن المتقين لهم صفات ومميزات لم تتوفر في غيرهم، والقرآن الكريم ذكرها: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] وأعطاهم الجزاء الأوفى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[3]، لكن القرآن لم يكن وحده كافياً للأمة في التدرج في المنازل والمقامات الأخلاقية ما لم يكن هناك تحسين واقعي حسيّ للأمة حتى تقتدي به، وأيضاً يكون من تمام

(١) سورة البقرة، الآية: ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

الحجة عليهم واللطف بهم؛ ألا وهم الأنبياء والرسل والأوصياء وهم الأمثال لله تعالى شأنه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

ولهذا لما سئلت عائشة كما روي كيف وجدت الرسول ﷺ قالت: كان خلقهُ القرآن فهو صلوات الله عليه جسّد القرآن، بل هو القرآن، بل هو أفضل حيث إنه الناطق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، فالرسول ﷺ هو المبيّن للقرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3] فقد عرّف التقوى للناس وجسّدها عملياً لهم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[4] فكان المثل الأعلى في جميع المقامات للإنسان الكامل، وقد أخبر ﷺ عن وظيفته حيث قال: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)، ولاشك أن التقوى من الله هي من كمال الأخلاق التي يتحلى بها المؤمن وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وهذا التجسيد لم ينتهِ بوفاة الرسول الأكرم ﷺ، بل قام عليّ عليه السلام الذي هو نفس النبي ﷺ مقامه في جميع المنازل والمقامات، إلا أنه ليس بنبي هو إمام المتقين، وصي رسول رب العالمين عليّ عليه السلام، فقد ذكر التقوى وأحكامها وصفات من اتّسم بها بما لا مزيد عليه، وكان كلامه فيها جامعاً مانعاً.

لم تكن التقوى متسناة لأي أحد، فلا ينالها إلا ذو حظٍ عظيم، فليست هي عبارة عن ألفاظ ينطق بها كما في الإسلام المرهون بنطق

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

الشهادتين، فيحقن بذلك دمه وماله، ولاهي عقد القلب والالتزام بدين الله كالإيمان، ولا هي بسوق حتى يبذل لها فتشترى، بل هي الجهاد الأكبر الذي نادى به الرسول الأكرم ﷺ. هي ذلك الصراع بين جنود الرحمن وقوى الشيطان (**أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك**) فهي لا تكون إلا بعد طوي الإسلام والإيمان والتوبة عن المعاصي والأدران، فحينئذٍ يحقّ له طرق باب المتقين والاستعطاء من أهل التقوى والمغفرة، فإن أجابه بجعله من مصاف المتقين وفتح له الباب بدخول بيت التقوى فقد أسعفه ويا خيبة المسعى إذا لم يسعف لكن ما هكذا الظن به، ولا أخبرنا بفضله عنه إذ هو الجواد الكريم، وقد أخبر عن نفسه أنه أرحم الراحمين ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[1]. فالمهم كل المهم فيها هو الصدق في طلبها والإخلاص من القصد إليها، والإرادة والعزم في الحصول عليها (**من طلب شيئاً وجده أو بعضهُ**)، حيث إن لها درجات ومراتب تنال بقدر السعي إليها ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[2] إذاً الحديث عن التقوى والمتقين لا يصدق إلا ممن عاش تجربتها، ودخل في مختبرها، واستشعرت نفسه بها، وعرف شروطها وموانعها، واستذوق حلوها ومرها، وسلك بدايتها فوصل نهايتها، وشاهد تقلباتهم بيد الله تعالى بين الخوف والرجاء حيث يتصرف بهم كيف يشاء فرأى جميع مشاهدها الرائعة الباهرة دنياً وآخرةً، وبهذا لم يكن هو منهم، بل صار إمامهم ومربيهم على ذلك على مر الأجيال، منذ آدم إلى يوم الدين. وليس في البين إلا الإمام المبين (صلوات الله عليه).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

هذا وإن التقوى الحصن المنيع، وليس هي الخوف كما عرفها البعض، بل الخوف من آثارها. والمتتبع لكلام الإمام عليه السلام يجد هذا المعنى صريحاً: فهي الحصانة الروحية التي تمنع صاحبها من الانحراف والزلل، وتبقيه على الجادة المستقيمة، وبها يمسك الإنسان زمام نفسه.

ومن آثارها أيضاً: حصول البصيرة والرؤية الواضحة للواقع، وقد بين القرآن وأهل البيت هذه الآثار وغيرها حيث قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[4]، وقال الإمام عليه السلام في نهج البلاغة: (**اعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم**)، فالمستفاد من هذه النصوص أن بالتقوى نظام الفرد والمجتمع فيها يصلح الفرد ويتخلص من جميع العقد النفسيّة والأرجاس البدنية والباطنية، وبها يصلح المجتمع؛ فهي الحافظ للفرد والمجتمع ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[5]، وبهذا يعلم عظمة أمر التقوى حيث بها يكون صلاح الدارين ومن هنا انبثق سؤال همّام رضي الله عنه لأمير المؤمنين عليه السلام عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

التقوى وصفات المتقين. ومن هنا أيضاً يعلم حال السائل من علمه وعمله فلا يقال إنه كان قليل البضاعة فسأل عن الواضحات وأبده البديهيات التي تكررت كثيراً في الآيّ الكريم فإنه يقال: إنه لم يسأل عن معناها ومفهومها، بل قال صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم: أي يطلب تجسيد هذه المقامات الروحية والكمالات الإنسانية أمام ناظريه، وهذا السؤال يُظهر لنا: إن شغله الشاغل كان صراعه مع نفسه ويعلم أن الانتصار في مثل هكذا معركة يقابله أصنام التمرد والعصيان لا يكون إلا بتكسير الأصنام أصنام الهوى والنفس الأمارة. وتاريخ الإسلام لم ينقل لنا مكسراً للأصنام غير البَطل الهُمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فلذا فزعت نفس همّام رضي الله عنه في السؤال منه والالحاح عليه، فكان منه عليه السلام الجواب.

إن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام لاتدرك معانيها حقّ الإدراك ولا تعرف جميع أبعادها إلا من متكلمها، حيث إن كلامهم نور وحديثهم صعب مستصعب، لكن ما لا يدرك جلّه لا يترك كله، فكان شرحنا لخطبة المتقين على وفق ظواهرها وعلى قدر علمنا وبذل وسعنا، لعله نكون عند حسن ظن القارئ الكريم، فاقتصرنا في بيانها على ما هو مأثور من أخبار أهل البيت عليهم السلام.

المؤلف



تمهيد

روي إن صحابياً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همَام كان رجلاً عابداً، فقال: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل الإمام عن جوابه، ثم قال: يا همَام اتقي الله واحسن فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فلم يقنع همَام بذلك القول حتى عزم عليه، قال: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: أما بعد فإن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم؛ لأنه لاتضره معصية من عصاه، ولاتنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معايشهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم.

قال الكيدري: «الهمام بعيد الهمة وكان السائل كاسمه»[١].

وقال ابن ميثم: تثاقل عليه السلام لخوفهِ على همام، كما يدل عليه قولهِ أما والله لقد كنت أخافها عليه اتق الله وأحسن: أي ليس عليك أن تعرف صفات المتقين على التفصيل، ولعل الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملاً من صفاتهم ومراعات التقوى والإحسان، وكأن المراد بالتقوى: الاجتناب عما نهى الله عنه، وبالإحسان فعل ما أمر الله به[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤١٤.

حتى عزم عليه، عزمت على فلان أقسمت عليه، وأعزمت على الأمر: أي قطعت عليه وأردت فعله حتماً، فالضمير في عليه يعود على الإمام.

مهد الإمام هذه المقدمه؛ لأنه عليه السلام لما كان بصدد شرح حال المتقين تفصيلاً حسبما اقترحه همام رحمه الله وكان ربما يسبق إلى الأوهام القاصرة إن ما يأتي به المتقون من مزايا الأعمال الصالحات، وما كلفهم الله سبحانه به من محامد الخصال أو القربات من أجل الحاجة منه تعالى عن ذلك إليها، قدمه هذهِ المقدمة تنبيهاً على كونه سبحانه منزهاً عن ذلك، متعالياً عن صفات النقص والحاجة، وأنه لم يكن غرضه تعالى من الخلق والايجاد جلب المنفعه له، أو دفع مضره عنه، كما هو شأن البشر يعملون ما يفتقدون إليه ويرفعون به ما بهم من نقص وحاجة.

وأما الله فهو الغني في ذاته وصفاته وأفعاله قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

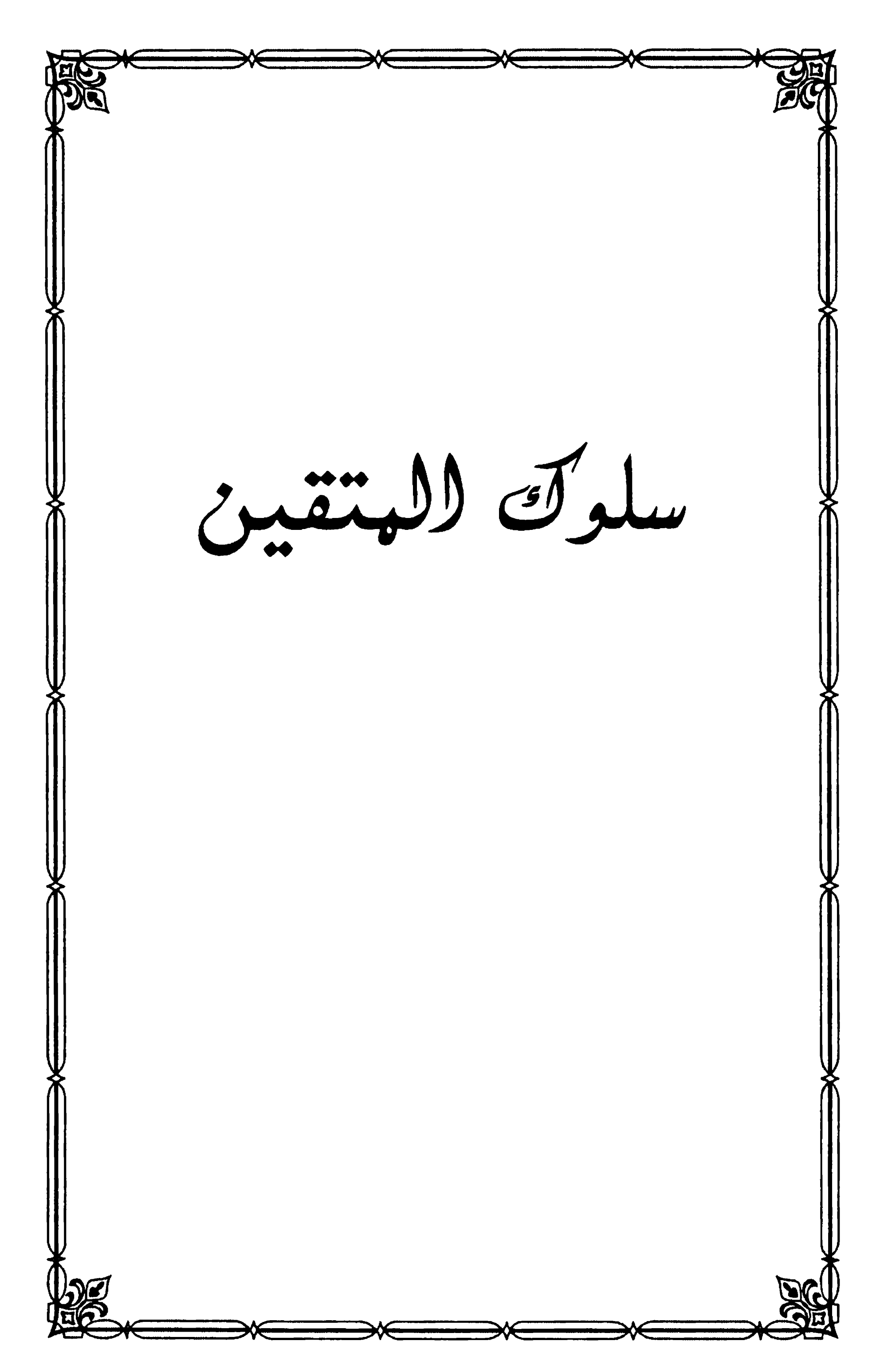
والمعايش بالياء جمع معيشة وهي ما يُعايش فيه وما يكون به الحياة، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾[2] ومواضع الخلق مراتبهم قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[3] والدرجات الدنيوية: كالغنى والفقر، والدرجات الدينية: اختلاف الناس في استعداداتهم وقابلياتهم في العلم والعمل.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.



سلوك المتقين

سلوك المتقين



فالمُتَّقون فِيها هُمْ أهلُ الفضائل. منْطِقهُمُ الصَّوابُ ومَلبَسهُمُ الاقتصادُ ومشيُهُمُ التواضُعُ. غضّوا أبْصارَهُمْ عمّا حرَّم اللهُ عليْهمْ ووقفُوا أسْماعهُمْ على العلْمِ النافع لهُمْ. قلُوبُهُمْ محْزُونةٌ وشرُوُرهُمْ مأمُونةٌ وأجْسادُهُمْ نحيفةٌ وحاجاتُهُمْ خفيفةٌ وأنفُسُهُمْ عفيفةٌ يمْزجُ الحلْمَ بالعلْمِ والقوْلَ بالعملِ تراهُ قريباً أملُهُ قليلاً زللُهُ خاشعاً قلبُهُ قانعةً نفْسُهُ منْزُوراً أكلُهُ سهْلاً أمرُهُ حريزاً دينُهُ ميتةً شهْوتُهُ مكظُوماً غيْظُهُ.

■ ■ ■

المتقون فيها هم أهل الفضائل:

قال الراغب: «الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم»[1].

وقال المازندراني: «وفي العرف صيانة النفس عما يضرها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها»[2].

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني: ص٥٣٠-٥٣١.

(٢) شرح أصول الكافي مله صالح المازندراني: ج٨/ ص١٦٠.

والخلاصة هي: إن التقوى ملكة نفسانية تصدّ النفس عن الوقوع في الذنوب.

وأما الفضائل فهي جمع الفضيلة، وحيث إن الجمع المحلى بلام يفيد العموم فيدل على ثبوت الفضائل في الذين اتقوا. والتقوى هي الملاك الوحيد للفضيلة والكمال.

وأما الفضائل المذكوره فهي: ملكات مخصوصة لها آثار معلومة فمن يتقي تظهر آثار التقوى وهي الفضائل على جميع أفعاله وأحواله كما يشهد له قول أمير المؤمنين عليه السلام: (**إن السريرة إذ صحت قوية العلانية**).

والفضائل أنواع مندرجة بعضها تحت العدالة، ففي الفقيه بإسناد عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: بم تعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادتهُ لهم وعليهم؟ فقال عليه السلام: إن يعرفوه بالستر والعفاف، وكفّ البطن والفرج واليد واللسان، ويُعرف باجتناب الكبائر التي وعد الله عليها النار، من شرب الخمر، والزنى، والربا، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وغير ذلك[١].

من هذهِ الرواية المباركة نفهم بأن المعنى الجامع لكثير من الفضائل العدالة وهي أفضل الفضائل.

منطقهم الصواب:

قال ابن ميثم: «أن لا يسكت عما ينبغي أن يقال فيكون مفراكاً،

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج٦/ ص٢٠٥.

ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً، بل يضع كِلا من الكلام في الموضع اللائق به»[1].

وقال المجلسي (قده): «لايتكلمون إلا في مقام التكلم، كذكر الله وإظهار الحق إبطال باطل، وكان الابتداء بالمنطق؛ لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح»[2].

إن اللسان الذي لا يوجد عضو من الأعضاء بمثله، صعب العلاج والتأديب ويحتاج للرعايه والاهتمام بقدرة (اللسان) وبشكل عام إن هذا أصعب بدرجة كبيرة، ورعايته مهمة، وآفاته خطرة.

قال رسول الله ﷺ: «**يعذب الله اللسان بعذاب لايعذب بهِ شيئاً من الجوارح فيقول: أي يا رب عذبتني بعذاب لم تعذب بهِ شيئاً فيقال لهُ: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها «فسفك بها الدم الحرام» وانتُهبَ بها المال الحرام «وانتُهكَ بها الفرج الحرام» وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح**»[3].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «واجعلوا اللسان واحداً وليخزن الرجل لسانه، فإن هذا اللسان جموح صاحبه والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه؛ لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه وإن كان شراً واراه ـ أخفاه ـ وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه، لايدري ماذا له وماذا عليه؟»[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤١٤.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣١٨.
(٣) الكافي: ج٢/ ص١١٥.
(٤) نهج البلاغة: ١٠/ ٢٨.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً فإن تكلم كتب محسناً أو مسيئاً»[1].

وعليه فالمتقون يملكون جوارحهم ويسيطروا عليها، ويُفعّلوا نشاطها لكسب الآخرة وبالأخص اللسان جعلوه مفتاحاً لكل خير لا يتكلمون به إلا في مقام التكلم كذكر الله وإظهار حقّ وإبطال باطل.

ملبسهم الاقتصاد:

الملبَس بفتح الباء: ما يلبس أما الاقتصاد فهو: التوسط بين طرفين الإفراط والتفريط، كقوله: (من اقتصد في النفقه): أي توسط بين الإفراط والتقتير.

وذكر المجلسي (قده): إنهم لايلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين، ولا ما يلحقهم بأهل الخسة والدناءة، أو يصير سبباً لشهرتهم بالزهد كما هو دئب المتصوفة[2].

أما المتقون من حيث الملبس: مجتنبين عموم السلوك المخالف للعرف والمتعارف، لايلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين، ولا ما يلحقهم بأهل الخسة ويصير سبباً لشهرتهم بالزهد، متخذين لباس الوسط، كما جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام «خير لباس كل زمان لباس أهله»[3].

لأن الثياب الفاخرة والثياب الرثة: تؤثر سلباً على الروح، وقد جاء في الروايات عن الثياب الفاخرة:

---

(١) جامع السعادات: ج٢/ ص٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣١٩.

(٣) الوسائل: ج٣/ ص٣٤٢.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن لبس المرتفع من الثياب فلا بدّ لهُ من التكبر ولا بدّ للمتكبر من النار»[1].

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام أنه قال: «خرج في ثياب حِسان فرجع مسرعاً فقال: يا جارية ردي ثيابي فقد مشيت في ثيابي هذهِ فكأني لستُ عليّ بن الحسين»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أوحى لأحد أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تأكلوا كأعدائي ولا تمشوا كأعدائي؛ فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»[3].

وأما ألبسة الشهرة بالزهد، فقد جاء بالروايات على تجنبها:

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله يبغض شهرة اللباس»[4].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «الشهرة خيرها وشرّها في النار»[5].

وعن الحسين عليه السلام أنه قال: «من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامه ثوباً من النار»[6].

ومثلما إن الألبسة الفاخرة لها تأثير في النفوس، كذلك ألبسة

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام الملابس الباب السادس عشر.
(٢) الوسائل: ج٣/ ص٣٦٤.
(٣) جواهر السنية: باب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.
(٤) الوسائل: ج٣/ ص٣٥٤.
(٥) الوسائل ج٣/ ص٣٥٤.
(٦) المصدر نفسه.

الشهره بالزهد ذات تأثير على النفوس، كذلك مفسدتها أضعاف مفسدة الألبسة الفاخرة مجرد أن يرى الإنسان نفسه متميزاً عن لباس خشن عن الآخرين ربما يغفل عن عيوبه وقد يصاب بالعجب فيتكبر على عباد الله وقد يبتلى بالرياء وقد يغفل عن تنمية الصفات الحسنة عنده وعلى كل حال فإن لباس الشهرة من عوامل زلزلة القلوب الضعيفة.

مشيهم التواضع:

ذكر بن أبي الحديد في شرحه تقدير وصف مشيهم (التواضع) فحذف المضاف وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[1][2].

وقال المجلسي (تره): «أي لايمشون مشي المختالين والمتكبرين كما قال عزّ من قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[3] (المرح هو الفرح) المراد إن سيرتهم وسلوكهم بين الخلق في سبيل الله بالتواضع والتذلل»[4].

التواضع: هو انكسار النفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الآخرين، وليس لله تعالى عبادة يقبلها أو يرضاها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباد الله المستقلين بوحدانيته، قال الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[5] وقد أمر الله ﷻ نبيه

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٢) ابن أبي الحديد ج١٠/ص١٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٤) بحار الأنوار ج٦٤/ص٣١٩.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

بالتواضع، فقال عز من قائل: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

والتواضع: مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء؛ والخشوع والخشيه والحياء لا يأتين إلا من التواضع، وفيما لا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للتواضع في ذات الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغةً يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع، أما يكون لله وفي الله وما سواه فكبر ومن تواضع لله شرفهُ الله على كثير من عباده ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكه وأهل الأرض من العارفين».

وقال رسول الله (صلوات الله عليه وآله) لأصحابه: **«ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة»**، قالوا: وما حلاوة العباده، قال: **«التواضع»**.

وقال (صلوات الله عليه وآله): **«إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله»**[*].

غضّوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم:

والغض والغضاضة لغة: (الفتور في طرف).

فالبصر العين وحاسة الرؤية، وأبصرت الشيء، أي: رأيته، ومبصرة مضيئة والبصر أنفاذ في القلب.

وقال الله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(*) انظر جامع السعادات ج١/ ص٢٧٧.

﴿فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[1].

فالمجيء بـ (من) التبعيض إيماءً بأن المأمور بالغض هو ما لا يليق تحديق النظر إليه، وبهذا الأمر أدب شرعي هو في مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى يوقعها في الحرام أو المكروه، أو ما عسى أن يكلفها صبراً شديداً عليها.

فالمتقون يكفون النظر عما حرم الله وهذا الكفّ أمر مهم في حفظ الإنسان عن المهالك، فإن كثيراً ممن ابتلى بالمفاسد بسبب العين.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العيون طلائع القلوب، العين بريد القلب، العين رائد الفتن، العيون مصائد الشيطان، العين جاسوس القلب وبريد العقل»[2].

وقال عليه السلام: «القلب مصحف البصر»[3].

يريد الإمام عليه السلام بذلك: إن ما يتناوله البصر يحفظهُ في القلب كأنه يُكتب فيه من خير الدنيا أو من شرها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغضّ بصرهُ إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»**[4].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «النظرة سهم من سهام

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) بحار الأنوار ج١٠٤/ص٤١.
(٣) نهج البلاغة: الحكمة: رقم ٤٠٩.
(٤) ميزان الحكمة: حديث رقم ٢٠٢٨٦.

إبليس من تركها من مخافتي آبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو أغمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين»[2].

اوقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم:

قال العلامه المجلسي (قده): وقفت كضربت: أي أدمت قائماً إلى أن قال: ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً: أي منعته عنه ووقفت الدار وقفاً: أي حبستها في سبيل الله.

والمراد الاقتصار على استماع العلم النافع، وفيه إيماء إلى ذم الإصغاء إلى كلّ ما لا ينفع من القصص الكاذبة بل وكثير من الصادقة[3].

إن السمع نعمة، فهي تستوجب شكر الله المنعم، وحق الشكر أن لا تستخدم نِعم الله في معصيته، بل يذكر الإمام السجاد عليه السلام حقّ السمع، فيقول: «وأما حقّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرًا، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى قلبك يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر»[4].

---

(١) الترغيب والترهيب: ج٣/ ص٣٤.
(٢) بحار الأنوار: ج١٠٦/ ص٣٣٤.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣١٩.
(٤) رسالة الحقوق:

إن جهاز السمع هو الأداة الفعّالة في تكوين شخصية الإنسان وبناء سلوكه، وذلك بما ينقل له من المسموعات التي تنطبع في دخائل الذات وقرار النفس، ومن حقه على الإنسان أن يجعله بريداً لنقل الآداب الكريمة والفضائل الحسنة والمزايا الحميدة والعلوم المفيدة بأنواعها، منها: المعارف الإلهية الاعتقادية التي هي من أهم العلوم ومنها الأحكام الشرعية التي هي مورد الابتلاء، ومنها معرفة الصفات الحميدة التي يجب العمل بها ومعرفة الصفات المذمومة التي يجب التجنب عنها كالكبر والحسد وسائر المساوئ الاخلاقية يتأثر بها، وتكون من صفاته وخصائصه.

وهكذا يفعل المتقون الذين أوقفوا أسماعهم على العلم النافع، لهم في الدنيا والآخرة الموجب لكمال القوة النظرية والحكمة العملية، وأعرضوا عن الإصغاء إلى اللغو والأباطيل، كالغيبة والغناء ونحوها.

وقد وصفهم الله سبحانه بذلك في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[١].

قلوبهم محزونة:

إن حزن القلوب لايكون إلا لخوف من العقاب لاحتمال التقصير في أداء التكليف وعدم حصول شرائط القبول، كما أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

كما لا يخفى أن مراتب الخوف تختلف بحسب معرفة الله سبحانه وتعالى، فخوف العامة يكون من العذاب، وخوف الخاصة يكون من العتاب، وخوف أخص الخواص يكون من الاحتجاب من أسباب الخوف. قد يكون خوف المؤمن من تعجيل العقوبة في الدنيا، وقد يكون من الموت وسكراته، وقد يكون من القبر، وقد يكون من سؤال منكر ونكير، وقد يكون من أهوال المطلع، وقد يكون من أهوال القيامة ومواقفها، وقد يكون من الحساب، وقد يكون من الصراط، وقد يكون من إحياء العرض على الله، وقد يكون من هتك الستور على رؤوس الأشهاد، وقد يكون من نار جهنم وألوان عذابها، وقد يكون من حرمان الجنة، وقد يكون من نقص الدرجات.

والمتقون يخافون من جميع هذهِ المخاوف على تفاوت درجاتهم، وتفاوت درجاتهم: تدل على المعرفة وعلى علو الرتبة، مثلاً معرفة الخاصة بالله سبحانه وتعالى أكثر من معرفة العامة بالله، ومعرفة خاصة الخاصة أكثر من معرفة الخاصة بالله.

وأما خوف أخص الخواص يمكن أن يكون خوفاً عن الحجاب عن الله، مثل الأئمة ﷺ، فحينما يُرى منهم الخوف من الأسباب المذكورة، فإن هذا الخوف ليس منافياً لمقام الخواص وإن وصلوا المراتب العالية على أن الوصول لا ينافي خوف تجدد الحجاب، وآثار الخوف تظهر في آثار تخليتهم، وفي بعض حالاتهم يظهر منهم ما يكاد تتقطع منه القلوب وتذهل منه العقول.

شرورهم مأمونة:

قال المجلسي (ره): الأمن من شرورهم؛ لأنهم لايهتمون بظلم

أحد كما ورد في الخبر «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1].

ومن شواهد المعاملة المأمونة ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج بمنتهى الحرية وكانوا من رعاياه، فكان قادر على أن ينفذ بحقهم ما كانوا يستحقونه ولكنه لم يسجنهم ولم يجلدهم، بل إنه لم يقطع نصيبهم من بيت المال وكان ينظر إليهم نظرته إلى الآخرين وليس في هذا ما يدعو إلى العجب في سيرة حياة الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنك قلما تجد نظيراً له في تاريخ العالم. لقد كانوا أحراراً في الإعلان عن عقيدتهم، وكان الإمام عليّ عليه السلام وأصحابه يقابلونهم بمعتقداتهم بكل حرية، ويجادلونهم فيها، ويتبادلون الأدلة والاستدلال، ولعل هذا القدر من الحرية لم يسبق له وجود في العالم، فما من حكومة عاملت معارضيها بهذا القدر من الحرية. لقد كانوا يأتون إلى المسجد ويقطعون على الإمام خطبته، وكان الإمام يوماً على المنبر فجاء رجل يسأل سؤالاً فرد عليه الإمام الجواب فوراً، فصاح أحد الخوارج من الحاضرين: قاتله الله ما أفقهه! فأراد الآخرون أن يلقوا عليه درساً في الأدب، فمنعهم الإمام قائلاً اتركوه إنه إنما شتمني أنا. ولم يكن الخوارج يأتمون بالإمام عليه السلام في الصلاة؛ لأنهم كانوا يقولون بكفره وإنما كانوا يحضرون إلى المسجد ولا يصلون خلفه، وكانوا أحياناً يؤذونه ومن أهم أسباب تجاسرهم على الإمام عليه السلام؛ لأنهم يرون أنه لا يصدر منه إلا العفو والخير، وهذا المبدأ يقول فيه العدو قبل المحب.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص١٢١.

أجسادهم نحيفة:

النحيف: أي المهزول؛ لكثرة الصيام، والسهر، والرياضات، والهم والخوف[1]. والخوف: هو عبارة عن تألم القلب واحتراقه، كذلك الخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته، وأخرى يكون لكثرة جناية العبد بمقارفة المعاصي، وأخرى يكون بهما جميعاً فبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بالله تعالى تكون قوة الخوف. فأخوف الناس بربه: أعرفهم بنفسه وربه، لذلك قال النبي ﷺ: **«أنا أخوفكم الله»**[2].

وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[3]. فالمعرفة إذا كملت أورثت جلال الخوف، واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب إلى البدن، وأثره في البدن: النحول، والصفار[4].

فهذه الطبقة تعبد الله كأنها تراه فهي تعبده عن صدق إيماناً بالغيب وهم المحسنون في عملهم، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال: «إن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنهُ يراك»[5] وهذا مقام الخلص عن إسحاق بن عمار، قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إن رسول الله ﷺ صلى بالناس الصبح، فنظر إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٢١.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٧/ ص١٣٣.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٤) أحوال السالكين ص١١٩.
(٥) رسالة الولاية ص١٨.

شاب في المسجد وهو يخفق[1] برأسه مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له الرسول ﷺ: **«كيف أصبحت يا فلان»**؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً موقناً، فعجب رسول الله من قوله (فقد أخبر بشيء نادر الوقوع)، وقال: **«إن لكلّ يقين حقيقة، فما هي حقيقة يقينك»**؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، فأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان»** ثم قال: **«ألزم ما أنت عليه»**.

فقال الشاب: ادع لي الله يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعى له الرسول، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ، فاستشهد بعد تسعة نفر، وكان هو العاشر[2].

حاجاتهم خفيفة:

وخفت حاجاتهم؛ لقلة الرغبة في الدنيا، وترك اتباع الهوى، وقصر الأمل، وقناعتهم بما رزقهم الله[3].

---

(١) يقال خفق برأسه، إذا أخذته سُنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده.

(٢) أصول الكافي في كتاب الإيمان والكفر ج٢/ ص٥٣.

(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢١.

المتقون: حاجاتهم في الدنيا خفيفة، تذوقوا اللذات المعنوية لا الانغماس في تلبية حاجات الجسد المادية؛ لأنه لا يستقيم حبّ الدنيا والآخرة في قلب المؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد، وكمثال أوضح إنّ الفرد الذي يعيش بين مأكله ومشربه ومنامه لا يمكن أن يتحسس اللّذة المعنوية، مثل: لذّة الدعاء، ولذّة العبادة، ولذّة التضحية من أجل الآخرين؛ لأنه منغمس في الماديات والمعنويات، كما ينظر المريض إلى طّيب الطعام فلا يلتذة مع ما يجده من شدّة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها مع ما يجده من حبّ المال.

وحين يمارس الإنسان عملية الترفع عن الانغماس في اللذات المادية يفرغ قلبه من شغل البدن وإذا فرّغ القلب من شغل البدن أقبل على العبادة وينفتح على عالم جديد وعلى لذات جديدة أعمق من اللّذات المادية، ومن هنا كانت قرة عين رسول الله ﷺ الصلاة.

جاء عن جابر قال، دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقال: ياجابر والله إني محزون وإني لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما أشغلك وما أحزن قلبك؟

فقال: يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله شغله قلبه عما سواه، ياجابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا، هل هي إلا طعام أكلته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها، ياجابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، ولم يؤمنوا قدومهم الآخرة، ياجابر الآخرة دار قرار، والدنيا دار فناء وزوال، ولكن أهل الدنيا أهل الغفلة، وكأن المؤمنين هم الفقهاء: أهل فكرة وعبرة لم يصممهم عن

ذكر الله تعالى ما سمعوه بآذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله تعالى ما رأوا في الزينة بأعينهم، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم، واعلم ياجابر أن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة[1].

إن أهل البيت ﷺ ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للآخرة، وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكامل، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو الحدّ الوسط بين طرفين وهو أحب الأمور المقربة إلى الله تعالى.

يأخذون من الدنيا قدر الحاجة، يأخذون من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظهم من الحر والبرد، ومن الكسوه كذلك.

أنفسهم عفيفة:

العفة: هي الامتناع والترفّع عما لا يحلّ.

قال ابن ميثم: «وملكة العفّة فضيلة القوة الشهوية، وهي الوسط بين الرذيلتين: خمود الشهوة، والفجور»[2].

وهي: صفة ملازمة للمتقين، وبها يعرف المتقي من غيره، وهي من أرفع الخصائص الدالة على سمو الإيمان وشرف النفس، وقد أشادت بفضلها الآثار قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ما من عبادة أفضل عند الله من عفة البطن والفرج»[3].

---

(١) الكافي ج٢/ ص١٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٦.

(٣) الوافي ج٣/ ص٦٥.

✓ وقال رجل للباقر عليه السلام: «إني ضعيف العمل، قليل الصلاة، قليل الصيام، ولكني أرجو لا أكل إلا حلالاً، ولا أنكح إلا حلالاً، فقال لهُ عليه السلام: وأي جهاد أفضل من عفة البطن والفرج»[1].

✓ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان البطن والفرج**»[2].

يمزج الحلم بالعلم:

مزجت الشيء بالماء من باب قتل، خلطته، وقالوا للعسل مزج؛ لأنه يُخلط بالشراب[3].

فالمراد أن حلم الزهاد يكون عن علم بفضل الحلم لا عن جهل، وأما فضيلة اقتران عملهم بالحلم أي لا حلم إلا عن علم بفضل الحلم ليس كما يحلم الجاهلون[4].

أي: يحلم للعلم بفضله لا لضعف النفس وعدم المبالات بما قيل له أو فعل به ولايطيش في المحاورات والمباحثات مع أنه يقول عن علم[5].

✓ الحلم من اعتدال القوة الغضبية التي من شأنها: الأخذ، والبطش، والطغيان والترفع، والتسلط، والغلبة على الأقران، حتى

---

(١) بحار الأنوار ج٢/ ص١٨٤.
(٢) بحار الأنوار ج٢/ ص١٨٣.
(٣) مصباح المنير ص٧٥٠.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٥٧.
(٥) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٨.

حصلت له بذلك ملكة الحلم المقتضية للصفح، والستر، والعفو، والأناه، والحنان، والاستكانة[1].

وأما الحلم: فهو أشرف الكمالات النفسيّة بعد العلم، بل لا ينفع العلم بدون الحلم أصلاً، ولذا كلما يُمدح العلم ويسأل عنه يقارن بالحلم، وقال الرسول ﷺ: «**اللهم أغنني بالعلم وزيّني بالحلم**»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «قف عند كلّ أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غيرالطريق، فلا تزيد سرعة السير إلا بعداً»[4].

الروايات ترسم لنا أن الحلم يكون مسبوقاً بالعلم؛ بفضل الحلم، والحلم: هو الصفح، والعفو: مرّة يكون ترفعاً عن الظلم، ومرة يكون رغبة في التكرم والصفح.

والقول بالعمل:

أن يكون عمله موافقاً لقوله بأن يأمر بالمعروف ويأتي به، وينهى عن المنكر ويتناهى عنه، ويعد ويفي بوعده.

وقال ابن ميثم: «أي لا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف

---

(١) أصول الكافي ج٩/ ص١٣١.
(٢) جامع السعادات ج١/ ص٢٢١.
(٣) تحف العقول ص٧٤.
(٤) تحف العقول ص٨٨.

ويقف دونه، ولا ينهى عن منكر ثم يفعله، ولا يعد فيخلف فيدخل في مقت الله، كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]»[2]. وقال العلامه المجلسي (قده): «أي إذا أمر الناس بمعروفٍ أو نهاهم عن منكرٍ عمل به، أو يفي بالوعد، أو يقرن الإيمان بالأعمال الصالحة، ويجمع بين القول الجميل والفعل الحسن»[3].

وقال ابن أبي الحديد: «أي لا يقتصر على القول، ومثل هذا قول الأحوص وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل»[4].

تراهُ قريباً أمله:

أمّلته أملاً من باب طلب ترقيته وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، ومن عزم على السفر إلى بلدٍ بعيد، يقول أملت الوصول، ولا يقول طمعت، إلا إذا قرب منها. فإن الطمع لا يكون إلا فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع[5].

وقال ابن ميثم في شرحه: «أي لكثرة ذكر الموت والوصول إلى الله»[6].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢١.
(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٨.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣/ ص١٥٧.
(٥) مصباح المنير: ص٣٣.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢١.

وقال المازندراني: «أي ليس له طول أمل لإكثار ذكر الموت والوصول إلى الله تعالى، حتى أنه يترقبه أناً فأناً»[1].

وقال ابن أبي الحديد: «أي ليست نفسه متعلقة بما عظم من حالِ الدنيا، وإنما قصارى أمره أن يؤمل القوت والملبس»[2].

ذِكْرُ الموت يقصر الأمل، ويدفع طوله ويوجب التجافي عن دار الغرور، والاستعداد لدار الخلود، ولذا ورد في فضيلته أخبار كثيرة. قال رسول الله ﷺ: **«اكثروا ذكر هادم اللذات»**، قيل: وما هو يارسول الله؟ قال: **«الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في منعه إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدّة إلا اتّسعت عليه»**. وقيل للنبي: هل يُحشر مع الشهداء أحد؟ قال: **«نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة»**[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «اكثروا ذكر الموت، فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا زهد في الدنيا، وكفى بالموت واعظاً، ذكر الموت يميت الشهوات في النفس، ويقطع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعد الله، ويرق الطبع ويكسّر أعلام الهوى، ويطفئ نار الحرص، ويحقر الدنيا»[4].

قليلاً زلله:

أي: خطأه وذنبه؛ لما له من ملكة العدالة المانعة من ارتكاب الكبائر وإصرار على الصغائر.

---

(١) شرح أصول الكافي ج٩/ ص٨٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص٣٥٧.

(٣) جامع السعادات ج٢/ ص١٨٩.

(٤) جامع السعادات ج٢/ ص١٩٠.

قال ابن ميثم: «قد عرفتُ أن زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى؛ لأن صدور الخيرات عنهم صار ملكة، والجواذب فيهم إلى الزلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أو سهو ولا شك في قلته»[1].

العدالة هي انقياد قوة العمل لقوة العقل، وأن العادل هو الذي يتبع إرشاد العقل في كلّ ما يقول وفي كلّ ما يفعل.

والتوازن في قوة العمل توازن في جميع الملكات والانحراف فيها، انحراف في سائر الأخلاق. والإمام الصادق عليه السلام يصف لنا العداله في الإنسان فيقول: «إذا غضّ طرفه عن المحارم ولسانه عن المأثم وكفه عن المظالم»[2].

لا يكون الإنسان عادلاً حتى يخضع لحكم العقل فيغضّ طرفه عن المحارم، ويلجم غضبه بلجام الحكمة فترتفع نفسه عن المظالم.

لكل واحدة من قوى النفس وغرائزها لها حقوق يجب أن توفي بها، ولكلّ منها ميول شاذ يجب أن تضرب من دونها حجاب، ويُسمى هذا ضبط النفس، وهو تعادل هذه القوى في السلوك وتساويها في الحقوق، فتأخذ كلّ قوة ما يجب لها وتمنع عما يحرم عليها وتظهر آثارها في جميع الأعمال والأقوال، فإذا استقامت أفعال الإنسان وأقواله يكون مستقيماً.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٢.

(٢) تحف العقول ص٨٩.

خاشعاً قلبه:

خاشعاً قلبه، أي: خاضعاً وذليلاً من تصور عظمة الله.

فُسر الخشوع بمعنى الخضوع الممزوج، إما بالمحبة التي توجب انكسار النفس هيبة للمحبوب المتعالي في العظمة، أو بالخوف ممن له سطوة تخشى ولقمة تُلتقى(١).

خشوع القلب يدل على الخوف الملازم للعبد، والخوف لا يأتي إلا عن معرفة الله سبحانه وتعالى والمعرفة إذا كملت ورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب إلى الجوارح فيكفها عن المعاصي، وتقيدها بالطاعات إتلافاً لما فرط، واستعداداً لما استقبل، ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه(٢).

وروي أنه من خشع قلبه لم يقربه الشيطان، ومن علامات الخشوع غضّ أبصار العيون، وقطع علائق الشؤون، والخاشع من خمدت نيران شهوته، وسكن دخان أمله، وأشرق نور عظمة الله في قلبه، فمات أمله ووجه أجله، فحينئذٍ خشعت جوارحه وسالت عبرته، وعظمت حسرته. والخشوع يذلل البدن والقلب لله سبحانه، وقال في كتابه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(٣). يعني: متواضعين خاشعين.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه رأى رجلاً يعبث في صلاته

---

(١) شرح منازل السائرين لكمال الدين عبد الرزاق ص٥٠.

(٢) أحوال السالكين للفيض الكاشاني ص١٢٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

بلحيته، فقال: «**لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**»[1]. دل هذا الحديث على أن الخشوع من أفعال القلوب وتظهر آثار الخشوع على الجوارح.

قانعة نفسه:

ضد الحرص القناعة، وهي: ملكة النفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال دون سعي وتعب في طلب زائد عنه.

وهي صفة فاضلة يتوقف عليها سائر الفضائل، وعدمها يؤدي بالعبد إلى المساوئ الأخلاقية والرذائل، وهي المظنة للوصول إلى القصد. وأعظم الوسائل تحصيل سعادة الأبد، إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على أقله قدراً أو أخسه نوعاً، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهرة، ولا يشغل قلبه بالزائد على ذلك، كان فارغ البال مجتمع الهم، فيتمكن بالاشتغال بأمر الدين وسلوك الآخرة، ومن فاتته القناعة وتدنس بالحرص والطمع وطول الأمل وخاض في غمرات الدنيا؛ تفرق قلبه وتشتت أمره فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين، والوصول إلى درجات المتقين؛ ولذلك ورد في مدح القناعة من الأخبار أن رسول الله ﷺ قال: «**طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به**».

ما من أحد من غني أو فقير إلا ورد يوم القيامة، أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا والمتقون يجملون في الطلب، فإنه ليس للعبد إلا ماكتب له في الدنيا، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له

---

(١) إرشاد القلوب ص١٠٣.

في الدنيا، وهي راغمة أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب.

كن قانعاً تكن أشكر الناس، وهم عالمون لو كانت الدنيا كلها لهم ماذا يأخذون منها وماذا يحتاجون غير القوت والملبس والمسكن. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك، فإن أيسر ما فيها يكفيك. وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك، فإن كل ما فيها لا يكفيك».

وإذا دخلكم من ذلك شيء فاذكروا عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما كان قوته الشعير وحلوه التمر. وقال صلى الله عليه وآله: «**من قنع بما رزقه الله، فهو من أغنى الناس**»، وقال الصادق عليه السلام: «من رضي من الله من المعاش عز وجل؛ باليسير من العمل»[1].

منزور أكله:

فالمراد منه هو: قلّة الأكل، وهو أمر مطلوب لما يترتب عليه من حفظ المزاج والنشاط، إذ البطنة توجب المرض، والكسل، وذهاب الفطنة، وزوال الرقة.

وقال ابن ميثم: «ذلك لما يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة، وزوال الرقة، وحدوث القسوة، والكسل عن العمل[2].

وقال الفيومي: «نزر الشيء بالضم نزاره ونزوراً: فهو نزر ونزور بالفتح ونزير، أي: قليل[3].

---

(١) انظر جامع السعادات ج١/ ص٣٥٧.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٢.
(٣) مصباح المنير ص٥١٧.

وقال المجلسي (قده): «والنزر والمنزور القليل الأكل، كعنق: الحظ من الدنيا وفي بعض النسخ (أكله) بالفتح أي لا يمتلئ من الطعام؛ لأنه من أسباب الكسل عن العبادة وكثرة النوم[1].

وجاء الحث على قلة الاكل في الروايات، قال النبي ﷺ: «**لا يدخل ملكوت السماوات قلب من ملئ بطنه**»[2].

وقال ﷺ: «**ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعامه في الدنيا، يقول: انظروا إلى عبدي ابتليه بالطعام والشراب في الدنيا فتركها لأجلي، اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة تركها لأجلي إلا بدّلته بها درجات في الجنة**»[3].

وقال ﷺ لاسامة:

«**إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، هم الأصفياء الاتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض وتحفُّ بهم ملائكة السماء، نعِم الناس بالدنيا وأنعموا بطاعة الله، أفترش الناس الفرش الوثير وافترشوا الجباه والركب، ضيعوا الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم، تبكي الأرض إذا افتقدتهم، ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم أحد، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف، أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثاً غبراً يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خُلِطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم وما خولِطوا ولكن نظر القوم**

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٨.

(٢) عقبات الدنيا ص١٠٢.

(٣) نفس المصدر.

بقلوبهم إلى أمر الله الذي اذهب عنهم الدنيا، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول، عقلوا حيث ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الدنيا ولهم الشرف في الآخرة.

يا أسامه إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة، ولا يعذب الله تعالى قوماً هم فيه. الأرض بهم فرحة، والجبار عنهم راضٍ، اتخذهم لنفسك إخواناً عسى أن تنجوا بهم، إن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمأن فافعل، فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحلّ مع النبيين ويفرح بقدوم روحك الملائكة، ويصلي عليك الجبار»[1].

وقال النبي ﷺ: **«أهل الجوع في الدنيا: هم أهل الشبع في الآخرة، وإن أبغض الناس إلى الله تعالى المتخمون الملأى، وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة»[2].**

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قلة الأكل محمود على كل حال، وعند كل قوم؛ لأن فيه المصلحة للباطن والظاهر، والمحمود في المأكول أربعة: ضرورة وعدة وفتوح وقوة، فالضروره للأصفياء، والعدة لقوم الأتقياء، والفتوح للمتوكلين، والقوة للمؤمنين. وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة والجوع. أدام للمؤمنين، وغذاء للروح، وطعام للقلب، وصحة للبدن»، وقال رسول الله ﷺ: **«ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه»[3].**

---

(١) عقبات الدنيا ص١٠٢.

(٢) عقبات الدنيا ص١٠٤.

(٣) مصباح الشريعه باب الأكل.

سهلاً أمره:

أي: خفيف المؤنة، لا يتكلف لأحد، ولا يُكلف، فإن شر الأخوان من تُكلف إليه. أجمع المؤرخون على أن الرسول الأكرم ﷺ كان بسيطاً في حياته، بعيداً عن التكلف، بسيطاً في ملبسه. لقد كانت البساطه تشكل ركناً أساسياً في حياته.

ومن الواضح أن للحياة حدوداً ينبغي رعايتها، ولذا نجد القرآن الكريم يشير إلى وجود حدود إلهية يتوجب على الإنسان عدم تجاوزها، فالمتقون هم أولئك الذين تحكم حياتهم الأحكام الإلهية.

وفرق كبير بين تلك الأحكام الإلهية، والعادات الفارغة، مثل: التكلف الذي يظهر بين الناس وهناك من الناس حياتهم تكلف في تكلف وتصنّع في تصنّع، ترى تكلّف في حديثهم، وفي طريقة مشيهم. يتصنعون في ارتداء ثيابهم، يتكلفون في استقبال ضيوفهم، ينهضون بتكلف، ويجلسون بتكلف ربطوا أنفسهم بعادات، وقيدوها بتقاليد بعيده عن تعاليم الإسلام.

إن التكلف والتقيد إنما ينجم عن حقارة في النفس، وانعدام في الشخصية فالبعض يتصور إثبات وجودهم بهذا السلوك، يحاولون توجيه الأنظار إليهم عن طريق هذه التصرفات. إن من يتمتع بمقام علمي فإن شخصيته العلمية لا ترى ضرورة للتكلف، وعلى العكس فإن من يعاني من إحساس بالتخلف يحاول عن طريق العناوين التظاهر بالأهمية. وعلى العموم فإن هذا السلوك خلافُ عُرفِ المتقين والمتعارف عندهم وهم بعيدون عن التصنّع والتكلف غاية البعد؛ لأنه من بواعث الغرور.

حريز دينه:

حرز المكان الذي يحفظ فيه، ويقال حرز حريز للتأكيد، كما يقال حصن حصين[1].

والحرز الموضع الحصين حرز حريز كحصن حصين وحرزه كنصره، حفظه، والمراد: عدم إهماله في أمر دينه وعدم تطرق الخلل إليه[2].

ومن الواضح المحافظة، وعدم الإهمال في أمور الدين،، يدل على العلم والمعرفة، والمعرفة لها مراتب مختلفة، ولكن حقيقة المعرفة واحدة.

إن مراتب المعرفة: مثل مراتب النار مثلاً، وإن أدناها من سمع أن في الوجود شيئاً يحرق كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يجاوره، ويسمّى ذلك الموجود ناراً. وهذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدقوا بالدين من غير دليل.

وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار، وعلم أنه لا بدّ له من مؤثر، فحكم بموجود له أثر هو: الدخان. وهذه المرتبة في معرفة الله: معرفة أهل الاستدلال الذين حكموا بأدلة على وجود الصانع.

وأعلى منها مرتبة مَنْ أحس بحرارة النار؛ بسبب مجاورتها وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الأثر. وهذه المرتبة في معرفة الله معرفة المتقين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله سبحانه

---

(١) المصباح المنير ص١٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٨.

وتعالى. ومن الواضح أن المعرفة حقيقة واحدة ذات مراتب متمايزة بالشدة والضعف وباعتبار القوابل.

ميّتة شهوته:

موت الشهوة تدل على مخافة الله، ومخافته تدل على المعرفة، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ومن عرف الله خاف الله، ومن خاف الله ساخت نفسه عن الدنيا»[1].

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات»[2].

فأخوف الناس من ربه أعرفهم بنفسه وربه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: «**أنا أخوفكم لله**»[3]. فالمعرفة التامة: تفيض من القلب إلى الصفات، ومن الصفات إلى الشهوة، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً. فبالخوف تحترق الشهوات، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارق الكبر والحقد والحسد، ويصير همه دوام النظر إلى عاقبته، فلا يتفرغ للغير ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه. إذن فقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم

---

(١) الكافي ج١/ ص٦٨.

(٢) نهج البلاغة الحكم الصغار.

(٣) أحوال السالكين للفيض الكاشاني ص١٢٠.

القلب واحتراقه، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بالله، والخوف من الله يؤثر في الجوارح.

مكظوم غيظه:

الغيظ: الغضب المحيط بالكبد وهو أشدّ الحنق، ولا يكون الغيظ إلا بوصول مكروه، أي: المغتاظ.

كظم الغيظ: رده وحبسه، وهو من فضائل القوة الغضبية، وأعظم الخصال البشرية[1].

قال ابن أبي الحديد: «كظم الغيظ من الأخلاق الشريفة»[2].

المتقون هم الذين ملكوا أنفسهم عند الغضب وهذه الصفة ملازمة لهم، وقد وصفهم الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[3].

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه إمضاءً مالأ الله قلبه يوم القيامة رضاً**»[4].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً»[5].

---

(١) مصباح المنير ص٤٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج/ ص١٥٨.

(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

(٤) جامع السعادات ج١/ ص٢٣٢.

(٥) نفس المصدر.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلا أزاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة»[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

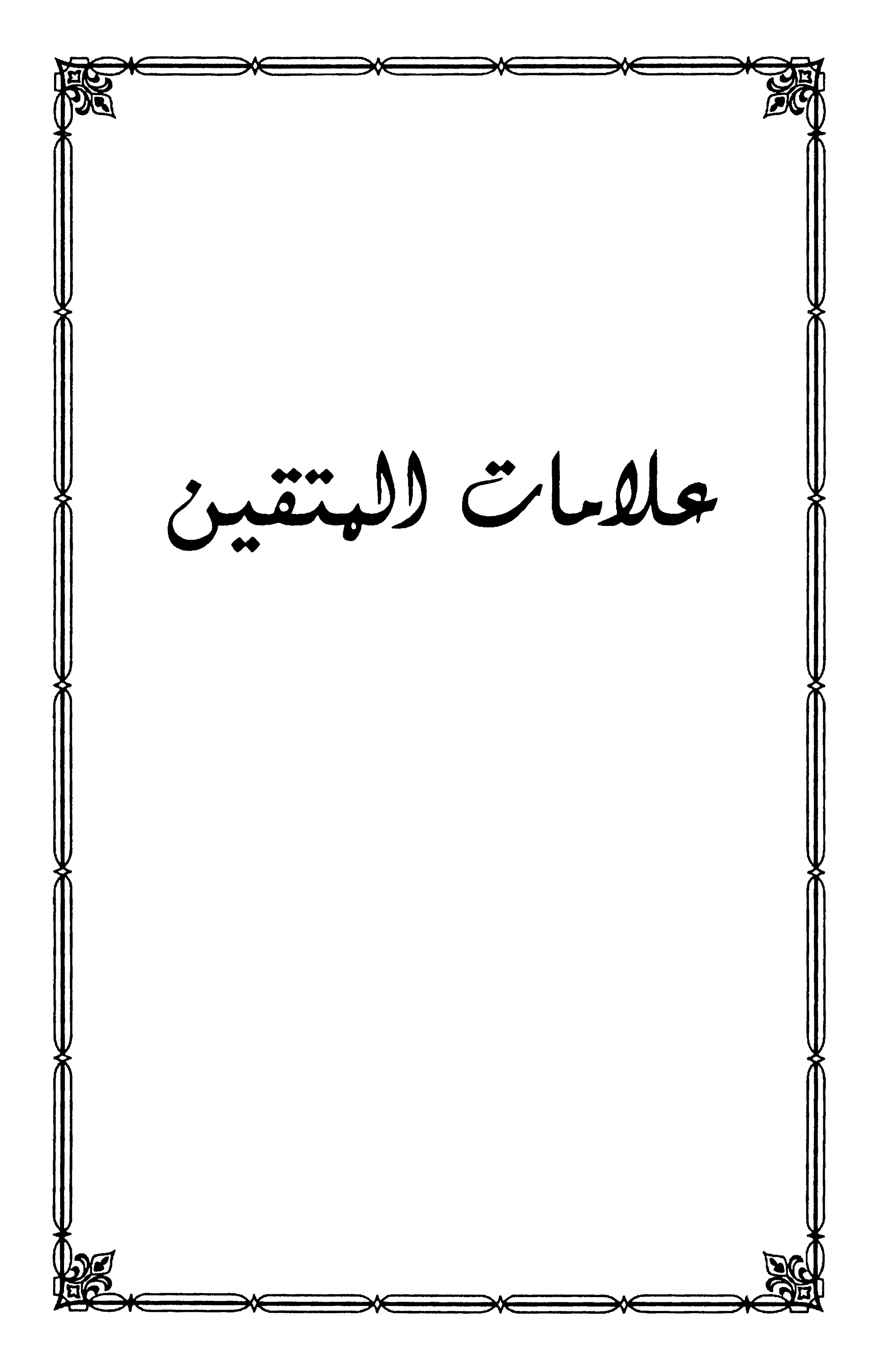
ذكر القرآن أن هناك فرقاً بين الحسنة والسيئة، ومن الحسنة الذي يدفع بالتي هي أحسن.

ومن يتعامل مع عدوه كأنه أخ حميم. هذه الصفه نادر وجودها ولا يتّصف بها إلا المتقون، وذكر أيضاً «لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم»، إلا أشخاص نوّر الله قلوبهم بالإيمان والمعرفه وهم: الأمناء يوم القيامة وهم المحسنون.



(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.



علامات المتقين

علامات المتقين



فمنْ علامة أحدِهمْ أنَّكَ ترى لهُ قُوةً في دين وحزْماً في لينٍ وإيماناً في يقين وحرْصاً في علم. وعلْماً في حلْم وقصْداً في غنىً وخُشوعاً في عبادةٍ وتجمُّلاً في فاقةٍ وصبْراً في شدَّةٍ وطلباً في حلال ونشاطاً في هُدىً وتحرُّجاً عنْ طمع. يعْملُ الأعْمالَ الصَّالحةَ وهُو على وَجلٍ. يُمْسي وهمّهُ الشكْرُ ويُصْبحُ وهمّهُ الذّكْرُ يبيتُ حَذِراً ويُصْبحُ فرحاً حَذراً لما حُذرَ من الغفلةِ وَفرِحاً بِما أصابَ من الفضْل والرّحْمةِ.

■ ■ ■

تری له قوة في دين:

أي: متصلب في الدين ولا يؤثر فيه تشكيك المشكك، ولا ينخدع بخداع الناس.

قال العلامة المجلسي (ره): «القوة في الدين: أي لا يتطرق إلى الإيمان الشك والشبهات، وإلى الأعمال الوساوس والخطرات»[1].

وقال المازندراني: «القوة في الدين، أي: له قوه نظرية وعملية فيه

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.

فيعلمه ويعمل به، ويقاوم فيه الوساوس، ولا يدخل فيه خداع الناس[1].

له قوه في الدين بمعنى البصيرة، والبصيرة: تُعدُّ أول علامات المتقين حيث تتركز مواقفهم على البصيرة دون أن يقرر مصيرهم هذا أو ذاك، أو تتحكم بهم الأجواء السائدة. إذن البصيرة فمثلها كالسراج ينير الدرب في الظلمات؛ لأن السراج يوضح الطريق، كذلك البصيرة توضح الرؤية وترسم الطريق في الحياة. والبصيرة تحافظ على الإنسان وتصونه من السقوط في المنزلقات، وهي التي تمنح الإنسان القدرة على أن لاينثني عن الصراط المستقيم وإن كان وحيداً غريباً فيه، وأن لا يستوحش من كثرة أنصار الباطل. ومن هنا يتضح بأن التقوى تقوّي العقل وتزيد في البصيرة.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

والآيات المباركة توضح لنا أن الإنسان إنما يدرك البصيرة بسبب التقوى، فيميز طريق الصواب حينما تعصف به الأزمات، فيختار طريقاً لهُ. وعن طريق التقوى يحصل الإنسان على البصيرة.

---

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

وحزماً في لين:

أي: يكون لينه عن حزم وتثبيت لا عن مهانة.

قال ابن أبي الحديد: «حرف الجرها هنا لا يتعلق بالظاهر؛ لأنه لا معنى له ألا ترى أنك لا تقول: فلان حازم في لين؛ لأن اللين ليس أمراً يحزم الإنسان فيه، وليس كما تقول: فلان حازم في رأيه أو في تدبيره، فوجب أن يكون حرف الجر متعلقاً بمحذوف تقديره: حزماً كائناً في لين[1].

فالمستفاد منه أن الحزم يكون مع لين، وإلى هذا أشار ابن ميثم حيث قال: «الحزم في الأمور الدنيوية والتثبت فيها ممزوجاً باللين، وعدم الفظاظة عليهم[2].

وقال المجلسي (ره): «والحزم بالفتح: ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة، والحذر من فواته. وكان المعنى أنه لايصير حزمه سبباً لخشونته، بل مع الحزم يداري الخلق»[3].

وقال ابن ميثم: قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. وقد يكون عن مهانة وضعف يقين، والأول هو المطلوب: وهو مقارن الحزم في الدين ومصالح النفس، والثاني رذيلة لا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج١٠/ ص١٥٠.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٩.
(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٠.

حزم في لين يدل على أن المتقين يحكمون العقل، والتحليل إذا أرادوا القيام بعمل أو اتّخاذ موقف، فهم يتفهمون أولاً، ثم يتخذون القرار، فيبادرون إلى ذلك العمل أو الموقف عندما يتعاملون بالحزم مع الآخرين، بحيث لا يصير حزمه سبباً لخشونه.

بل يكون مع الحزم مداراة الناس: وهي فضيلة العدل في المعامله مع الناس ولينه عن تواضع.

وإيماناً في يقين:

قال ابن أبي الحديد: «في حرف الجر متعلق بمحذوف أي كائن في يقين أي مع يقين فإن قلت الإيمان هو اليقين فكيف قال وإيماناً في يقين قلت الإيمان هو اعتقاد ومضافٌ إلى العمل واليقين هو سكون القلب فقط فأحدهما غير الآخر[1].

إن الإيمان: هو التصديق وهو قابل للشدة والضعف، فتارة يكون عن تقليد، وتارة يكون عن دليل، مع العلم بأنه لا غيره وهو علم اليقين والسالكون لا يقفون عند هذه المرتبة، بل يطلبون عين اليقين بعد طرح حجب الدنيا والإعراض عنها، واليقين في كلامه عليه السلام يمكن حمله على أحد هذين المعنيين[2].

الإيمان: يقال على نوعين: ظاهر، وباطن، فالإيمان الظاهر: هو الإقرار بوحدانية الله سبحانه، والإقرار بأن له ملائكة هم صفوته من خلقه نصبهم لعبادته وخدمته، وجعلهم حفظة لعالمه ووكّل طائفة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٥٠.

(٢) شرح أصول الكافي للمولى صالح المازندراني ج٩/ ص١٤٦.

منهم بتدبير خلائقه، مما في السماوات والارض، والإقرار بأنه قد اصطفى طائفة من بني آدم، والإقرار بأن هذه الكتب التي جاءت بها الأنبياء باللغات المختلفة مأخوذة معانيها من الملائكة إلهاماً ووحياً، والإقرار بأن القيامة كائنة لا محالة وهي النشأة الأخرى، وأن الخلق كلهم يبعثون ويحشرون فيحاسبون ويثابون بما عملوا من خير أو معروف، ويجازون بما عملوا من شر ومنكر، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[1]. وهذا الإيمان الظاهر الذي دعت الأنبياء إليه الأمم المنكرة لهذه المفاهيم.

وأما الإيمان الذي هو الباطن: فهو إضمار القلب باليقين على تحقيق هذه المفاهيم المقر بها باللسان، فهذا هو حقيقة الإيمان، فأما المؤمن في ظاهر الأمر فهو المقر بهذه المفاهيم بلسانه، متميز عن الآخرين من الكفار، وأما الذين مدحهم الله سبحانه في كتابه ووعدهم الجنة، فهم الذين تيقنوا بضمائر قلوبهم حقائق هذه المفاهيم المقر بها والطريق إلى هذا الإيمان هو التفكر والاعتبار والقيام بشرائطها، وواجب حقها. وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالإركان»**[2]. والإيمان قابل للزيادة ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[3].

وحِرصاً في علمٍ:

أي حرص في طلب العلم النافع في الآخرة والازدياد منه.

---

(١) سورة البقره، الآية: ٢٨٥.

(٢) الخصال ص٨٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

قال ابن أبي الحديد: «حرف الجر ها هنا يتعلق بالظاهر، وفي بمعنى على كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[1]، [2].

فالمطلوب: هو ازدياد العلم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3]. حرصاً في طلب العلم النافع في الاخرة والازدياد منه وقد قص الله سبحانه علينا قصة نبيه موسى عليه السلام، كيف سافر في البحر وتحمّل المشاق لكي يتعلم بعض المسائل من الخضر عليه السلام، فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[4]. وقال النبي صلى الله عليه وآله: **«من يريد الله سبحانه به خيراً يفقهه في الدين»**[5]. **«فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»**، ويقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[6]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطلب العلم رضاً به وأنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتي الحوت في البحر. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر. وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍ وافرٍ»**[7].

---

(١) سورة طه، الآية: ٧١.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ص١٥٠.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٦.
(٥) بحار الأنوار ج١/ص١٧٧.
(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٧) أصول الكافي ج١/باب فضل العلم.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن كمال الدين: طلب العلم والعمل به، وإن طلب العلم: أوجب عليكم من طلب المال، وإن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه، وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه».

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم؛ لطلبوه، ولو بسفك المهج وخوض اللجج»[(١)].

وعِلماً في حِلمٍ:

أي: علماً ممزوجاً بحلم، فحرف الجر ها هنا متعلق بمحذوف، أي: كائناً في الحلم، أي: مع العلم[(٢)].

وقال المولى المازندراني: «أي: لا يجهل شيئاً من أمور الدين ولا يطيش على أحد من الناس، وهذا يدل على فضيلة اقتران الحلم بالعلم»[(٣)].

من علامات المتقين: العلم مع الحلم، أي: مع تأني في مواقفه العلمية والعملية؛ لأن الحلم يزين العلم. ومرَّ ذكر هذا الموضوع في سلوك المتقين بعبارة يمزج الحلم بالعلم، وهنا علم في حلم. ولعلّ الفرق هناك هو خلطُ المتقين هذين الصفتين في سلوكهم مع الناس، وأما هنا لو كان عالم ولم يكن حليم، فإنه خارج عنهم ولكن لا ينفي أنه ليس بعالم، فإن عدم الحلم لا ينفي العلم ولو كان حليماً ولم يكن عالماً، فليس منهم، ولكن لا ينفي كونه حليم.

---

(١) انظر جامع السعادات ج١/ ص٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٥٠.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٦.

فالمتقون متكاملون في جميع الصفات الحميدة. وبما أن العلم والحلم فضائل فهم أهل الفضائل.

ونحن في حياتنا رأينا أُناساً متكاملين في جوانب من السلوك ومفتقرين في جوانب أخرى وهذا واقع معروف.

وأما المتقون المذكورون: متكاملون في كلّ الجوانب، فالفضائل صارتَ لهم ملكات متخذين الصفات الحميدة كاللباس، لا يمكن للعاقل أن يلبس لباساً في بعض جوانبه نقص ويهمل ذلك النقص من معالجته، فكذلك المتقين لم يهملوا صفة من الصفات الحميدة فهم أهل المراقبة والمحاسبة والمشارطة.

وقصْداً في غنىً:

قال المجلسي (تره): «والقصد التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وترك الإسراف والتقتير، أي: يقتصد في حال الغنى، أو في تحصيل الغنى، أو في الإنفاق مع غنى النفس»[١].

وقال ابن أبي الحديد: «حرف جر متعلق بمحذوف، أي: هو مقتصد مع كونه غنياً، وليس يجوز أن يكون متعلقاً بالظاهر؛ لأنه لا معنى لقولك اقتصد في الغنى، إنما يقال: اقتصد في النفقة وذلك الاقتصاد موصوف بأنه مقارن الغنى ومجامع له»[٢].

المراد: هو الاعتدال في طلب الدنيا وطلب فضولها[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٥٠.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٧.

القصد في الغنى: هو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا، بحيث لا يقع في الإسراف أو التبذير، فهو معنى غناه مقتصد في حركاته وسكناته ومصارف ماله، بل جميع أفعاله. وغناه لم يوجب طغيانه وخروجه عن القصد وتجاوزه عن الحدّ، كما قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

وخُشُوعاً في عبادةٍ:

المقصود منه: الإتيان بالعبادة مع إقبال القلب.

خشع في صلاته ودعاءه: أقبل بقلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت وطمأنت[2].

إذا خشع قلبه خشعت جوارحه، والخشوع ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته التي هي روح العبادة[3].

وقد وصف الله المؤمنين بذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[4].

روى أبو الدرداء أنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام ليلة تخلّى من الناس وهو يناجي ويبكي ويقول: «إلهي كم من موبقة حلُمتَ عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك. إلهي لئن طال في عصيانك عمري وأعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّل غير غفرانك ولا أنا براجٍ غير رضوانك. إلهي أفكّر في عفوك فتهون

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦ ـ ٧.

(٢) المصباح المنير ص١٧٠.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤١.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٢.

عليّ خطيئتي، ثم اذكر العظيم من أخذك فيعظم عليّ بليّتي. آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: (خذوه)، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولاتنفعه قبيلته. آه من نار نزّاعة للشوى. آه من غمرة من لهبات لظى».

ثم قال: إذا خمد صوته، قلت انه نام فذهبتُ لأوقظه وحرّكته، فإذا هو كالخشبة اليابسة قلت إنا لله وإنا إليه راجعون مات أمير المؤمنين وذهبت إلى أهله وأخبرت فاطمة عليها السلام بذلك فقالت: هذهِ الغشية التي تعرضه كل ليلة من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تُنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحبّاء ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لاتخفى عليه خافية.

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وتجمُلاً في فاقةٍ:

التجمل: هو تكلف الجميل، فيكون المعنى التعفف والامتناع من السؤال عما في أيدي الناس، وإظهار الغنى في حال الفقر، وستر الفقر بالتجمل.

(١) أسرار الصلاة ص١٨٦.

أي: سلوك مسلك الأغنياء والمتجملين في حال الفقر؛ وذلك بترك الشكوى إلى الخلق، والابتهاج بما أعطى الله، وإظهار الغنى عن الخلق[1].

التجمل في الفاقه؛ وذلك بترك الشكوى إلى الخلق، والطلب منهم وإظهار الغنى عنهم؛ وذلك ينشأ عن القناعة، والرضا بالقضاء وعلوّ الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد والأجل وما أعدّ للمتقين[2].

يتعفف ولا يظهر الحاجة في حالة الفقر، ويترك السؤال، ويستر ما هو عليه من الفقر. وقد مدح الله أصحاب هذه الصفة بذلك في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[3]، وكانوا نحو أربعمائة من الفقراء المهاجرين يسكنون صف مسجد الرسول ﷺ يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة، وكانوا يخرجون بكلّ سرية يبعثها الرسول ﷺ.

يظنهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم أغنياء من التعفف، أي: من أجل التعفف والامتناع من السؤال والتجمل في اللباس، وستر لما هم عليه من الفقر وسوء الحال؛ طلباً لرضوان الله وجزيل ثوابه، تعرفهم بسيمائهم بما يرى من علامة الفقر من رشاشة الحال وصفرة الوجه.

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص١٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

وصبراً في شدةٍ:

المراد منه أن يتحمل شدائد الدنيا ومكارهها، ويستحقرها بإزاء ما يتصور من الفرحة بلقاء الله، وما بشرهُ به من عظيم الأجر للصابرين في كتابه.

المرّاد من الصبر في الشدّة أي صبر على شدة الفقر أو العبادة أو المصائب أو الأعم[1].

المراد من الصبر في الشدّة، أي: من الفاقة، وترك المعصية الشهوانية وغيرها مما يثقل على النفس ويشق عليها، ومنشأ العفة وتصور الأجر المعد للصابرين[2].

وصبراً في شدّة الصبر، وهو: ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر، وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة، فيحبس لسانه عن الشكوى وأعضاءه عن الحركات غير المتعارفة وهذا هو الصبر[3].

ولقد وصف الله سبحانه الصابرين بأوصاف منها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5] وقوله

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٧.

(٣) جامع السعادات ج٢/ ص٣٦٨.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

وطلباً في حلالٍ:

وقد حثّ الشرع الحنيف على طلب الحلال وترك الحرام. والتقي هو الذي يطلب الرزق من الحلال ويقتصر عليه ولا يطلبه من حرام، وقال النبي محمد ﷺ: **(العبادة سبعون جزء وأفضلها طلب الحلال)**[3]

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: **«ألا إن الروح الأمين نفث في روعي، أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسّمها حراماً، فمن اتقى وصبر أتاه الله برزقه من حلّ، ومن هتك حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حلّ، قصّ به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة»**[4].

قال النبي ﷺ: **«من سعى على عياله من حلّه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء»**[5].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٣) معاني الأخبار للصدوق ص٣٦٧.

(٤) الوسائل ج٧/ ص٤٥.

(٥) عقبات الدنيا ص٣٣٩.

وقال النبي ﷺ: «**من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار**»[1].

☚ ونشاطاً في هُدىً:

نشط في عمله ينشط من باب أتعب: خفّ وأسرع نشاطاً وهو نشيط[2].

النشاط بالفتح: طيب النفس للعمل وغيره، وهدى الرشاد والدلالة ينشط لهداية الناس أولاً اهتدائه في نفسه[3].

نشاط وسرور في سلوك سبيل الله وهو ينشط من قوة الاعتقاد فيما وعد الله لمن سلك سبيله وتصديقه في الآخرة[4].

نشاط في هداية الناس وإصلاح أمرهم؛ لأنهم هم الأسوة والقدوة لغيرهم قبل أن يقولوا شيئاً، فإنهم يجسدونه في أعمالهم، وبهذا ينفذون إلى قلوب الناس، ويمتلكون عواطفهم، فالكلام لا يمكن أن يتعدى في التأثير الأذن ولكن يعمل أمواجاً تتردد في الأعماق، وتنعكس في القلب؛ لأن حديثهم يرافقه إيمان واعتقاد لا بدّ وأن يفعل فعله في الروح، ومن ثم يترك أثره على الجوارح فيتجسد على شكل عمل. فالاتقياء يدعون الناس بأعمالهم لا بكلامهم فقط.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مصباح المنير ص٦٠٦.

(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.

(٤) شرح أصول الكافي ج٩/ ص١٤٧.

من السهل جداً الحديث عن الحق، والعدل، والتسامح، والتعمق في بحثها، ولكن من الصعب جداً أن نجسّد ذلك في أمثلة حيّه، أن نجد إنساناً عادلاً ومتسامحاً وقلّما نجد من يتأثر لحديث أو مقالة، ولكن الإنسان ينحني إجلالاً أمام من يجسّد قيمة من تلك القيم التي يتعاطف معها. فإن الحديث وحده لا يمكن أن يؤثر في الآخرين.

وتحرَّجاً عنْ طمعٍ:

تحرج: تأثّم والمعنى جعل الطمع حرجاً، وعده إثماً وعيباً[1].

حرف الجر ها هنا يتعلق بالظاهر لا غيره[2].

والظاهر أن المراد منه، أي: التجنّب عن الطمع عما في أيدي الناس؛ لعلمه أنه من الرذائل النفسانية ومنشأ المفاسد العظيمة، إذ يورث الذّلّ، والاستخفاف، والحقد، والحسد، والعدوان، والغيبة، وظهور الفضائح، والمداهنة لأهل الباطل، والمعاصي والنفاق، والرياء وسدّ باب النهي عن المنكر، وترك التوكل على الله والتضرع إليه، وعدم الرضا بقسمه إلى غير ذلك. وقد جاء في الروايات عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «أزرى بنفسه من استشعر الطمع،

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣/ ص١٥١.

(٣) نهج البلاغة الكلمات القصار ص٢١٩.

ورضى بالذّل من كشف عن ضره، وهانت عليه نفْسه من أمَّرَ عليها لسانه»[1].

واستشعار الطمع بمعنى اتّخاذه ديناً له وديدناً بحيث لا يلتزم بشيء إلا على أساس منفعته الخاصة، ومن كان كذلك فقد حقر نفسه؛ لان الإنسان يقاس بأهدافه، فلا يطمع المؤمن بما في أيدي الناس لعلمه، بأنه من الرذائل النفسيّة، ومنشأ المفاسد، ومن هنا نلاحظ الرواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»[2].

وقد سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام عن الذي يثبت الإيمان، فقال الإمام عليه السلام: الورع، وسأله عن الذي يخرجه منه، قال: الطمع[3].

يَعملُ الأعمالَ الصَّالحة وهو على وجَلٍ:

وجل وجلاً، فهو وجل. الأنثى وجله من باب تعب إذا خاف[4].

الوجل: الخوف، وذلك لخوفهم من التقصير في العمل كمّاً وكيفاً ومن عذاب الله[5].

أي: من أن يكون على غير الوجه اللائق، فلا يقبل، كما روي

(١) نهج البلاغة الكلمات القصار.
(٢) الكافي ج٢/ ص١٤٨.
(٣) الكافي ج٢/ ص٣٢٠.
(٤) مصباح المنير ص٦٤٩.
(٥) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٧.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان في التلبية وهو على راحلته فخرّمغشياً عليه، فلما أفاق، قيل له ذلك، فقال: خشيتُ أن يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك[1].

روي عن الأصمعي أنه قال: خرجتُ إلى الحج إلى بيت الله وزيارة النبي، فبينما أنا أطوف حول الكعبة، وكانت ليلة مقمرة، وإذا بصوت أنين وحنين وبكاء، فتبعت الصوت، وإذا بشاب حسن الوجه ظريف الشمائل وعليه ذوائب، وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: (يا سيدي ومولاي قد نامت العيون وغارت النجوم، وأنت حيّ قيوم، إلهي غلّقت الملوك أبوابها وقام عليها حجابها وحرّاسها، وبابك مفتوح للسائلين، فها أنا ببابك أنظر برحمتك لي يا أرحم الراحمين).

ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دُعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقمِ
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وانت يا حيّ يا قيّوم لم تنمِ
أدعوك ربّ حزيناً خائفاً قلقاً
فأرحم بكائي بحق البيت والحرمِ
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف
فمن يجود على العاصين بالنعمِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢١.

ثم قال: رفع رأسه إلى السماء وهو يقول: (إلهي أطعتك بمشيئتك، فلك الحجة عليّ بإظهار حجّتك، إلا ما رحمتني وعفوت عني ولا تخيّبني يا سيدي)

ثم قال: إلهي وسيدي الحسنات تسرّك والسيئات ما تضرّك، فاغفر لي فيما لا يضرّك. ثم أنشأ يقول:

ألا أيّها المأمول من كلّ حاجة
شكوت إليك الضرّ فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلّها واقضِ حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلّغي
على الزاد أبكي أم على بُعد سفرتي
أتيت بأعمالٍ قباح رديئةٍ
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي منك، أين مخافتي

قال الأصمعي: كان يكرر هذه الأبيات حتى سقط مغشياً عليه فدنوت منه لأعرفه، فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن عليّ عليه السلام.

قال الأصمعي: فأخذت رأسه ووضعته في حجري وبكيت فقطرت قطرة من دموعي على خدّه ففتح عينيه وقال: (من هذا الذي شغلني عن ذكر ربي).

قلت: (يا مولاي عبدك وعبد أجدادك الأصمعي، فما هذا الجزع والفزع والبكاء والأنين، وأنت من أهل بيت النبوة وموضع

الرسالة، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

قال: فاستوى قاعداً، وقال: (هيهات هيهات يا أصمعي إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[2]،[3].

يُمسي وهمُّهُ الشُّكْرُ:

الشكر: أفضل منازل الأبرار وعمدة، زاد المسافرين إلى عالم الأنوار، وهو موجب لدفع البلاء وزيادة النعماء. وقد ورد به الترغيب الشديد وجعله الله سبباً للمزيد وقال ﷻ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4] وقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[5] وقال ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[6]؛ لكونه غاية الفضائل والمقامات، وأنه ليس لكل سالك أن يصل إليه، بل لا يصل إليه إلا الإنسان الأوحدي، ولذا قال رب العالمين: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[7].

وكفى به شرفاً وفضلاً أنه خُلق من أخلاق الربوبية كما قال

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٣) أسرار الصلاة ص١٨٥.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.
(٧) سورة سبأ، الآية: ١٣.

سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]، وهو فاتحة كلام أهل الجنة وخاتمته، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقال الباقر عليه السلام: كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: **«يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً»**. قال: وكان رسول الله ﷺ يقوم على اصابع رجليه فأنزل الله سبحانه ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[4][5].

ويُصبح وهمَّهُ الذِّكرُ:

الذكر: عبادة وأنه ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فإنه ليس له حدّ ينتهي إليه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾[6] ولم يجعل حدّاً ينتهي إليه.

وورد في حدّ كثرة الذكر أنه إذا كبّر العبد ربه في اليوم مائة مرة كان ذلك كثيراً[7].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٧.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.
(٤) سورة طه، الآية: ١ ـ ٢.
(٥) الكافي ج٢ باب الشكر.
(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.
(٧) مستدرك وسائل الشيعة ج١/ص٣٨٣.

ويظهر من جملة الأخبار أن المراد بإكثار الذكر المتأكد عليه هو الذكر القلبي، وهو الذكر الخفي، فعن رسول الله ﷺ: **«إن من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً»**، ثم قال ﷺ: **«أما لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان منه ولكن ذكر الله عندما حلّ وحرم فإن كان طاعه عمل بها وإن كان معصية تركها»**[١].

وورد عن رسول الله ﷺ **«إن من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ومن عصا الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»**[٢].

فالمتقون يذكرون الله سبحانه وتعالى على الدوام مع حضور القلب والتوجه الكلي إلى الله بأقوالهم وأفعالهم.

ووصفهم الإمام عليه السلام بقوله يصبح وهمه الذكر، أي: الطاعة، وقال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٣]. وقد ذكر عن عليّ عليه السلام أنه قال: ذكر الله شيمة المتقين، وقال: ذكر الله سجية كلّ محسن وشيمة كل مؤمن، وقال: ذكر الله مسّرة كل متقٍّ ولذة كل مؤقن[٤].

وعلى هذا فإن الغفلة هي ضدّ التذكر (الذكر)، وقد حذر الله تعالى منها، فقال ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ

---

(١) مشكاة الأنوار ص٥١ الفصل ١٥ في الذكر.
(٢) مستدرك وسائل الشيعة ج١/ ص٣٨٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم حديث (٥١٧٣، ٥١٦٣، ٥١٧٤).

﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]

وقد روي في الحديث المعراجي أن الله ﷻ أوحى إلى رسوله ﷺ فقال: يا أحمد اجعل همك همّاً واحداً واجعل لسانك لساناً واحداً، واجعل بدنك حيّاً، ولا تغفل عنيّ، من يغفل عنيّ لا أُبالي بأي وادٍ هلك[2].

وروي عن عليّ عليه السلام أنه قال: الغفلة أضرّ الأعداء[3]. وورد عنه أيضاً أنه قال: كفى بالرجل غفلة أن يضيّع عمره فيما لا ينجيه[4].

وأخيراً فإن الغافل يبقى في غفلة إلى أن يدركه الموت، وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[5]، فعلى العارف والمتقي أن يكون دائم الذكر بعيداً عن الغفلة كما أراد الله له ذلك فتأمل.

يبيتُ حذراً ويُصْبحُ فِرحاً حَذِراً لِما حُذرَ من الغفْلة وفَرِحاً بِما أصاب من الفضْل والرَّحمة:

فالمتقون يعبدون الله سبحانه وتعالى على ميزان الخوف والرجاء بتساوي نسبة الخوف والرجاء بحيث لو وزن هذا لم يزد على هذا؛ ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار ج٧٧/ ص٢٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم/ ح٤٧٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم/ ح٧٠٧٥.

(٥) سورة ق، الآية: ٢٢.

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال لبعض ولده:

(يا بني خِفْ الله خوفاً ترى أنك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله ترى كأنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

قلت له: ما كان في وصيّة لقمان؟ قال عليه السلام:

(قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله خيفه لو جئت ببر الثقلين لعذبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك. ثم قال: كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفه، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا)[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

(الخوف: رقيب القلب، والرجاء: شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاً كان من الله خائفاً وإليه راجياً، وهما جناحا الإيمان يطير بهما العبد المحقق إلى رضوان الله، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله ووعيده.

والخوف طالع عدل الله باتّقاء وعيده والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس.

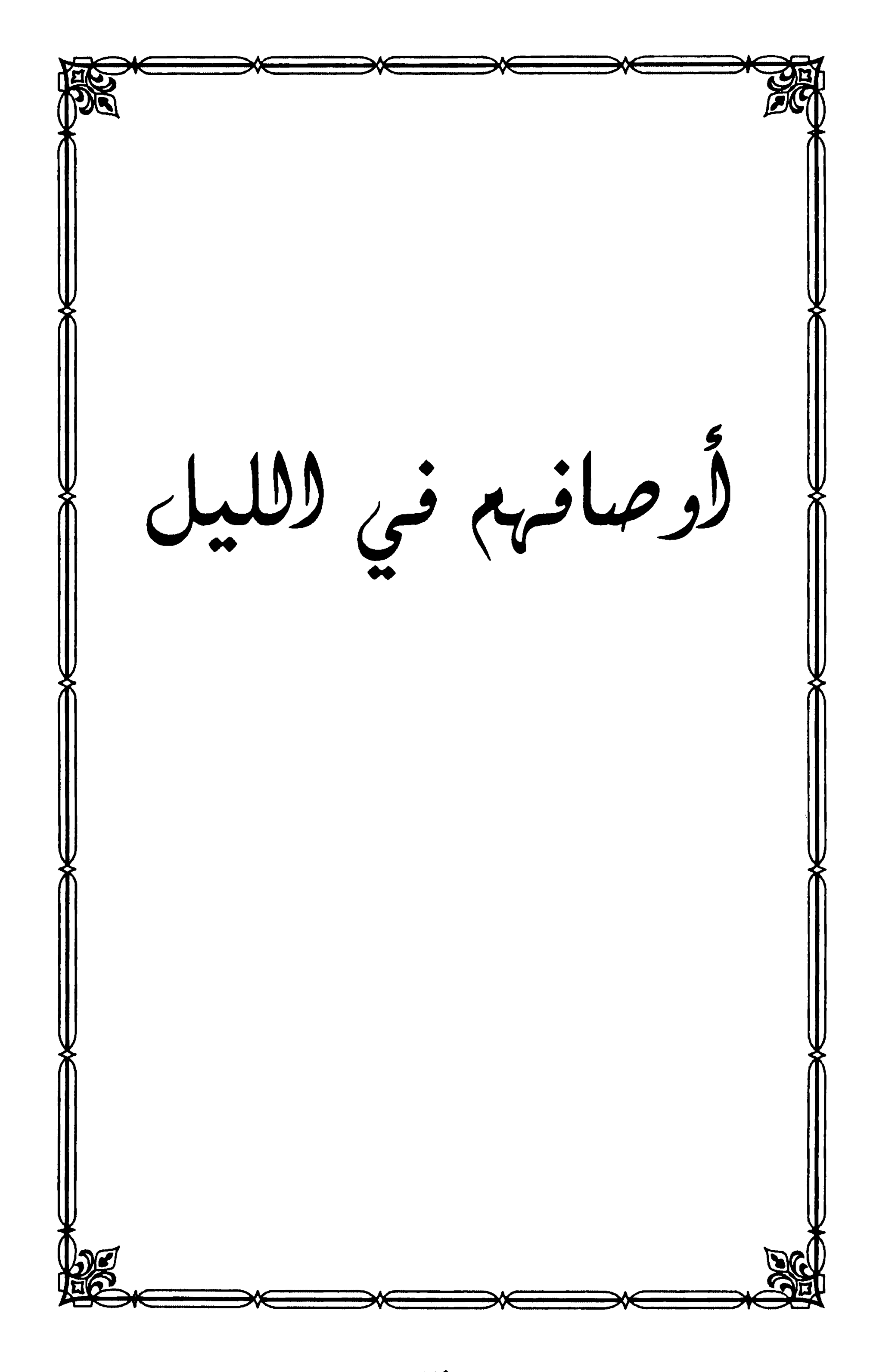
وقال النبي صلى الله عليه وآله: **«المؤمن بين خوفين: خوف ما مضى، وخوف ما بقي»**[3].

---

(١) الكافي: ج٢/ ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مصباح الشريعة: باب ٨٨.



أوصافهم في الليل

أوصافهم في الليل



أمَّا الليل فَصَافّون أقْدَامهُم تالينَ لأجزاء القُرآن يُرتِّلونهُ ترْتيلاً. يُحزِّنُون بهِ أنْفُسهُمْ ويستثيرُونَ بهِ دواء دائهم. فإذا مرُّوا بآيةٍ فيها تشْويقٌ ركنوا إليْها طمعاً، وتطلَّعتْ نُفوسُهُم إليها شوقاً، وظنُّوا أنَّها نُصْبُ أعينهم. إذا مرُّوا بآيةٍ فيها تخْويفٌ أصْغوا إليها مسامع قُلُوبهم وظنُّوا أن زفير جهنَّم وشهيقها في أُصُول آذانِهِم فهم حانون على أوْساطِهِم مُفترِشون لجبابهم وأكُفِّهمْ وأطْرافِ أقدامِهِم، يطلُبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم.

■ ■ ■

أما الليل:

اما الليل: بالنصب على حذف حرف الجر، أي: أما حالهم في الليل فالمقصود تفصيل حالهم في الليل والنهار[١].

من المعلوم إن لليل رجال ودولة، وللنهار كذلك رجال ودولة، الليل في التضرع والاستكانة إلى الله، والدعاء والمناجاة والذكر والخشوع، وللتبتل والإنابة والتوبة. ودولة النهار في الجدّ، والعزم، والسعي، والجهاد، والتقوى، ولكلّ دولة رجال.

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٣.

ومن الناس من يكون من رجال الليل وليس من رجال النهار، فإذا جاء الليل نشط للعبادة والتضرع والبكاء والاستكانة، ومن الناس من يكون من رجال النهار في العزم والجد والسعي والتقوى والإخلاص، فإذا حلّ به الليل أخلد إلى النوم وسلّم للنوم جوارحه وجوانحه تسليماً، والنوم في حياة الإنسان حاجة كسائر حاجاته الطبيعية لايمكن الاستغناء عنه، فيأخذ منه المؤمن ما يحتاجه ولا يستسلم له.

فالمؤمن إذا اقتصر من النوم على حاجته؛ تحكّم هو في النوم، وإذا سلّم له جوارحه وجوانحه؛ تحكم النوم فيه وهولاء: هم القسم الثاني من الناس.

والنمط الثالث من الناس الذين آتاهم الله تعالى دولة الليل والنهار، وهم أقلّ من القليل وصفوة الصفوة من عباد الله. ولا يتكامل الإنسان حقّ الكمال ولا يبلغ ذروة التقوى والصلاح والمعرفة والذكر إلّا عندما يجمع بين دولة الليل والنهار، وهكذا المتقون يأخذون من هذا وذاك بصورة متوازية، يأخذون من الليل: الحُب والإخلاص والذكر، ويأخذون من النهار: القوّة في الجد والعزم والسعي والجهاد.

كان مما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: (كذب من زعم أنه يحبني، وإذا جنه الليل نام عني).

يا بن عمران لو رأيت الذين يقومون لي في الدُّجى، وقد مثلت نفسي بين أعينهم، وقد جللت عن المشاهدة ويكلموني وقد عززت عن الحضور.

يا بن عمران هب لي من عينك الدموع، ومن قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً)[1].

وروي: أنه تعالى أوحى إلى بعض الصديقين:

أن لي عباداً من عبادي يُحبوني وأحبهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، وإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك، فقال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار، كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنّون إلى غروب الشمس، كما يحن الطير إلى وكره عند الغروب، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفُرشت الفرش ونصبت الأسرّة وخلا كل حبيب بحبيبه؛ نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا إليَّ وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إليَّ بأنعامي، ما بين صارخٍ وباكٍ، ومتأوهٍ وشاكٍ، وبين قاعدٍ وقائمٍ وراكعٍ وساجدٍ، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاثاً:

الأول: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني كما أخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم

والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟[2]

---

(١) أعلام الدين ص٢٦٣.

(٢) إرشاد القلوب ج١/ ص٩٢.

فصافون أقدامهم:

والصف: ترتب الجمع على صف وصف القدمين، وضعها في الصلاة بحيث يتحاذا الإبهامان ويتساوى البعد بين الصدر والعقب[1].

فهذه كناية عن قيامهم لصلاة الليل، وإنّ صلاة الليل من أهم النوافل بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[5].

ما كان الله يدعوا نبيه إلا إلى أمر جليل وفضل جزيل، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عن الناس**»[6]، وقال الرسول ﷺ: «**ما زال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لن يناموا**»[7].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «صلاة الليل مصحة للبدن ومرضاة للرب عز وجل وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين»[8].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

(٤) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

(٥) سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٤.

(٦) إرشاد القلوب ص٧٨.

(٧) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٢.

(٨) ثواب الأعمال ص٦٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1]، وقال عليه السلام: «صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب النهار»[2]

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «صلاة الليل: تحسن الوجه وتحسن الخلق وتطيب الريح وتدر الرزق وتقضي الدين وتذهب بالهم وتجلو البصر»[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «**إذا أيقظ الرجل أهله وصليا من الليل؛ كُتِبَا من الذاكرين لله والذاكرات**»[4].

وعن الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: إن أحببت أن تلقاني في حضيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من الناس بمنزلة الطير الذي يطير في الأرض القفار ويأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء العيون فإذا كان الليل أوكر وحده واستأنس بربه واستوحش من الطيور)[5].

سُئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال عليه السلام: لأنهم خلوا بربهم فكساهم من نوره)[6].

---

(١) سورة هود، الآية، الآية: ١١٤.

(٢) علل الشرائع ص٣٥.

(٣) ثواب الأعمال ص٦٥.

(٤) مجمع البيان ج٨/ ص٣٥٨.

(٥) بحار الأنوار ج٨٧/ ص١٥٨.

(٦) عيون الأخبار ج١/ ص٢٨٢.

قال رسول الله ﷺ: «**خياركم أولي النهي**»، قيل يا رسول الله: من أولي النهي؟ فقال: «**المتهجد بالليل والناس نيام**»[1]

تَالِينَ لأجزاء القُرْآن:

من وصايا الرسول الأكرم ﷺ: «**الأمر بتلاوة القرآن**» وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[2]

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية، كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من برٍّ، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من الذهب والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل أُحد، وأكبرها ما بين السماء والأرض**»[3].

وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه وجعله الله عزّ وجلّ مع السفرة الكرام البررة وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة يقول يا رب إن كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطاياك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلّتين من حلل الجنة، ويوضع على رأسه

---

(١) بحار الأنوار ج٨٧/ ص١٥٨.

(٢) أصول الكافي ج٢ باب فضل القرآن.

(٣) المصدر نفسه.

تاج الكرامة ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول: القرآن يارب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره، ثم يدخل الجنة، فيقال له: اقرأ واصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك فيقول: نعم»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «عليكم بتلاوة القرآن، فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقَ، فكلّما قرأ آية رقى درجة»[2].

يُرتلونهُ ترْتيلاً:

الترتيل في القرآن: التأنّي وتبين الحروف بحيث يتمكن السامع من عدّها[3].

ورتلتُ القرآن ترتيلاً: تمهلتُ في القرآن ولم أعجل[4].

يأمر القرآن المؤمنين بأن يقضوا بعض أوقات الليل بتلاوة القرآن، وأن يرتلوا القرآن في صلواتهم عندما يتوجهون إلى الله. وفي خطاب للرسول صلى الله عليه وآله يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[5].

---

(١) المصدر نفسه ص٦٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٢/ ص٦٠٦.

(٣) مجمع البحرين ج٥/ ص٣٧٨.

(٤) مصباح المنير ص٣١٨.

(٥) سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٤.

والترتيل: هو قرآة القرآن بحيث تخرج الكلمات من الفم بسهولة واستقامة وهو بمعنى الوضوح في القراءة مع التأني، كما في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن هذه الآية، فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يبينه بياناً ولا تهزه هز الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه حفظ الوقوف وأدار الحروف وهو جامع لما يعتبره القرّاء»[2].

والمتقون يقرأون القرآن بتدبر ومراعاة الترتيل في التلاوة؛ لأن التدبر والتأني في القراءة من دواعي التأثير في النفس.

يُحزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ:

الحزن: الهمّ. وحزنه الأمر، كنصر، أي: جعله حزيناً كعلم، أي: صار حزيناً. وحزنه تحزيناً جعله في حزن. وتحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر، وأما آيات الوعد فالخوف من الحرمان وعدم الاستعداد[3].

الحزن: هو التأثر بحسب ما يقرأ من الآيات عند قراءتها، فإذا قرأ آيات العذاب يحزن، وإذا قرأ آيات الرحمة يخاف من الحرمان؛ فيتضاءل عند قراءة قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾[4].

---

(١) أصول الكافي ج٢/ ص٦١٤.

(٢) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٣.

(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٣.

(٤) سورة الحاقه، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

ويخاف من الحرمان، وعدم الوصول إلى مقام الأولياء عند قراءة قوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾[1].

ويظهر منه الخوف والحزن من الحرمان عند ذكر الجنة وأوصافها والانقباض عند ذكر النار وأنواع عذابها.

ويتطأطأ عند قراءة أسماء الله وصفاته مثل: شديد العقاب، خضوعاً وإجلالاً لأسمائه جل جلاله.

والاستغناء عند ذكر المعاصي كأنه يخاف أن يكون قد عمل بها، والمقصود من قراءة القرآن استجلاب هذه الأحوال إلى القلب، وإلا فمن قرأ باللسان ولم يرقّ قلبه من هذه الأحوال، لم يؤثر في جوارحه في الأعمال والمتقون مرتمسة صورة القرآن في قلوبهم.

وإن الأوامر والنواهي والأحكام والتعاليم الإلهية لا تثبت إلا في ظل مراعاة أداب القرآن، ومن أفضل الآداب وأعظمها التفكر والتدبر.

ومن الواضح أن من يتمعّن ويتدبّر في معاني القرآن، يتأثر قلبه ويبلغ مقام المتقين شيئاً فشيئاً.

ويستثيرُونَ بهِ دواء دَائهم:

الاستثارة: مأخوذ إما من ثار يثور الغبار، أي: ارتفع، أو من

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٧٣ ـ ٧٤.

ثار يثور الجراد، أي: ظهر فالمراد أنهم يظهرون بالقرآن دواء دائهم وبعبارة أوضح إن المتقين بالقرآن يداوون به قلوبهم.

حكى المجلسي (قده) عن والده أن المراد أنهم يداوون بآيات الخوف الرجاء الغالب الذي كاد أن يبلغ حدّ الاغترار، والأمن من مكر الله. وآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط، وبما يستكمل اليقين داء الشبهة، وبالعبرة داء القسوة، وبما ينفر عن الدنيا والميل إليها داء الرغبة فيها ونحو ذلك[1].

كل فضيلة حث القرآن عليها، فهي دواء لما يضدها من الرذيلة[2].

يستثيرون به دواء دائهم إشارة إلى البكاء فإنه دواء داء الحزين[3].

وقال النبي ﷺ: **«من بكى من ذنب غفر الله له، ومن بكى من خوف النار أعاذه الله منها، ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه الله فيها وكتب له أماناً من الفزع الأكبر، ومن بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»**[4].

وقال النبي ﷺ: **«البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة وعلامة القبول وباب الإجابة»**[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٧.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٤٣.
(٤) إرشاد القلوب ج١/ ص٩٧.
(٥) إرشاد القلوب ج١/ ص٩٨.

وقال ﷺ: «إذا بكى العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق فيبقى كيوم ولدته أمه»[1].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك، فدونك دونك فقد قصد قصدك»[2].

وقال النبي ﷺ: **«إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فإن الله تعالى يحب كل قلب حزين، وإنه لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع»**[3].

☚ فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشْويقٌ ركنُوا إليها طمعاً، وتطلّعتْ نُفوسُهم إليها شوقاً، وظنوا أنَّها نُصْبُ أعْينهم:

وهذه المرتبة في معرفة الله: معرفة المؤمنين الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقنوا أن الله وعدهم على أعمالهم الصالحة بالثواب، وعلى أعمالهم غير الصالحة بالعقاب.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[4].

فمدح الموقنين في الآخرة المطمئنين بما وعد الله فيها من ثواب، كأنهم قد شاهدوا ذلك.

وقال الرسول ﷺ: **«ما من أحد منكم إلا قد عاين الجنة والنار**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الخصال ص(٨١ ـ ٨٢).

(٣) عدة الداعي ص١٥٥.

(٤) سورة البقره، الآية: ٤.

إن كنتم تصدقون بالقرآن صدق»[1]؛ لأن اليقين بالقرآن يقين بكلّ ما تظنه من الوعد والوعيد، وهو أيضاً في قلوب العارفين كالعلم البديهي.

كما روي أن سعد بن معاذ دخل على رسول الله ﷺ، فقال: **«كيف أصبحت يا سعد»**؟ فقال: بخير يا رسول الله أصبحت بالله مؤمناً، فقال: **«يا سعد إن لكلّ قول حقيقة، فما مصداق ما تقول»**، فقال: يا رسول الله ما أصبحت فظننت أني أمسي، ولا أمسيت فظننت أني أصبح، ولا مددت خطوة فظننت إني اتبعها بأخرى، وكأني بكل أمة جاثية، وبكل أمة تدعى إلى كتابها معها كتابها ونبيها أمامها، تدعى إلى حسابها، وكأني بأهل الجنة وهم يتنعمون، وبأهل النار وهم معذبون، فقال له رسول الله: **«يا سعد عرفتَ فالزمْ»**[2].

فلمّا صح يقينه كالمشاهدة أمره باللزوم. واليقين: هو مطالعة أحوال الآخرة على سبيل المشاهدة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، فدلّ على أنه يشاهد الآخرة مع الغيب عنها ويتشوق إلى الجنة والنعيم والمتقون إذا مرّوا بآية فيها تشويق إلى الجنة، مالوا واشتاقوا إليها طمعاً في رحمة الله سبحانه، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً. تطلع إلى الشيء: الاستشراق والانتظار لوروده نصب أعينهم: المعنى أنهم أيقنوا أن الجنة معدة لهم.

---

(١) إرشاد القلوب ص١١٢.

(٢) المصدر نفسه.

☚ وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخْويفٌ أصغوْا إليْها مسامع قُلوبهم وظنّوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصُول آذانهم:

وهذه المرتبة في معرفة الله: معرفة أهل الشهود والفناء في الله سبحانه وتعالى، وتحصل هذه المرتبة للمتقين بكثرة العبادة والرياضات، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله جل جلاله: **«من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وأنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت أذنه الذي يسمع بها، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وما ترددي في شيء أنا فاعله، كترددي في موت مؤمن يكره الموت وأكره مساءته»**[١].

إذا استقرّ حُبّ الله سبحانه وتعالى في قلب العبد، سرى هذا الحب في جميع أعضائه، يحصل في أذنه سمع خاص، أو في عينه نور خاص، وفي جميع أعضائه قوة خاصة، فيرى كل شيء ينظر إليه، آثار قدرة الله فيه كأنه رآه، ويرى آثار كمالاته التي جعلها في ذلك الشيء، ولو سمع شيئاً من تلك الكمالات، فكإنما سمع من الله سبحانه وتعالى، كما قال الإمام عليه السلام: «إذا مروا بآية فيها تخويف» وتحذير من النار (اصغوا) أي أمالوا (إليها مسامع قلوبهم وظنوا)، أي: علموا (أن زفير جهنم وشهيقها)، أي: صوت توقدها (في أصول آذنهم)، أو المراد زفير أهلها وشهيقها. والزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه.

---

(١) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ص١٢٠باب ١١.

حانون على أوساطهم:

حانون ظهورهم على أوساطهم: وصف هيئة الركوع وانحنائهم في الصلاة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يركع عبد لله تعالى ركوعاً على حقيقته إلا زيّنه الله بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه. والركوع أوّل والسجود ثانٍ فمن أتى بالأول صلح الثاني، وفي الركوع أدبٌ وفي السجود قُربٌ، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عزّ وجلّ بقلبه، متذلل وجلٌ تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين»[1].

حكي أن ربيع بن خثيم رحمه الله كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد، فإذا أصبح تزفر، وقال: أوه سبق المخلصون واقطع بنا، واستوف ركوعك باستواء ظهرك، وانحط عن همتك في القيام بخدمته، إلا بعونه وفر بالقلب من وسوسة الشيطان وخدائعه ومكايده، فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرّهم[2].

مُفْتَرِشُوْنَ لجبابهم وأكُفّهمْ وأطرافِ أقدامِهم:

يصف الإمام عليه السلام هيئة سجودهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما خسر ـ والله تعالى ـ قط من أتى بحقيقية السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة وما أفلح من خلا بربه

(١) مصباح الشريعة باب ١٥ في الركوع.
(٢) المصدر نفسه.

في مثل ذلك الحال تشبّهاً بمخادع نفسه، غافل لاهٍ عمّا أعد الله للساجدين من أُنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم أنه خُلق من تراب يطؤه الخلق وأنه ركّب من نطفه يستقذرها كل أحد.

وقد جعل الله معنى السجود سببَ التقرب إليه بالقلب والسر والروح، فمن قرُب منه بعُد من غيره، ألا ترى في الظاهر لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء، والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته.

قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**لا اطّلع على قلب عبدي فاعلم فيه حُبّ الإخلاص لطاعة وجهي وابتغاء مرضاتي إلا تولّيت تقويمه وسياسته، وتقرّبت منه، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين**»[2].

يطّلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم:

الدعاء بذاته يقرب العبد إلى الله تعالى، ويبلور روحه ويمنحه الصفاء. ومن هنا فإن الدعاء لا يختصر بحالات الشدة والبلاء، بل

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) مصباح الشريعة باب السجود.

في السرّاء والضرّاء، ووصف الله سبحانه عباده الصالحين بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٢].

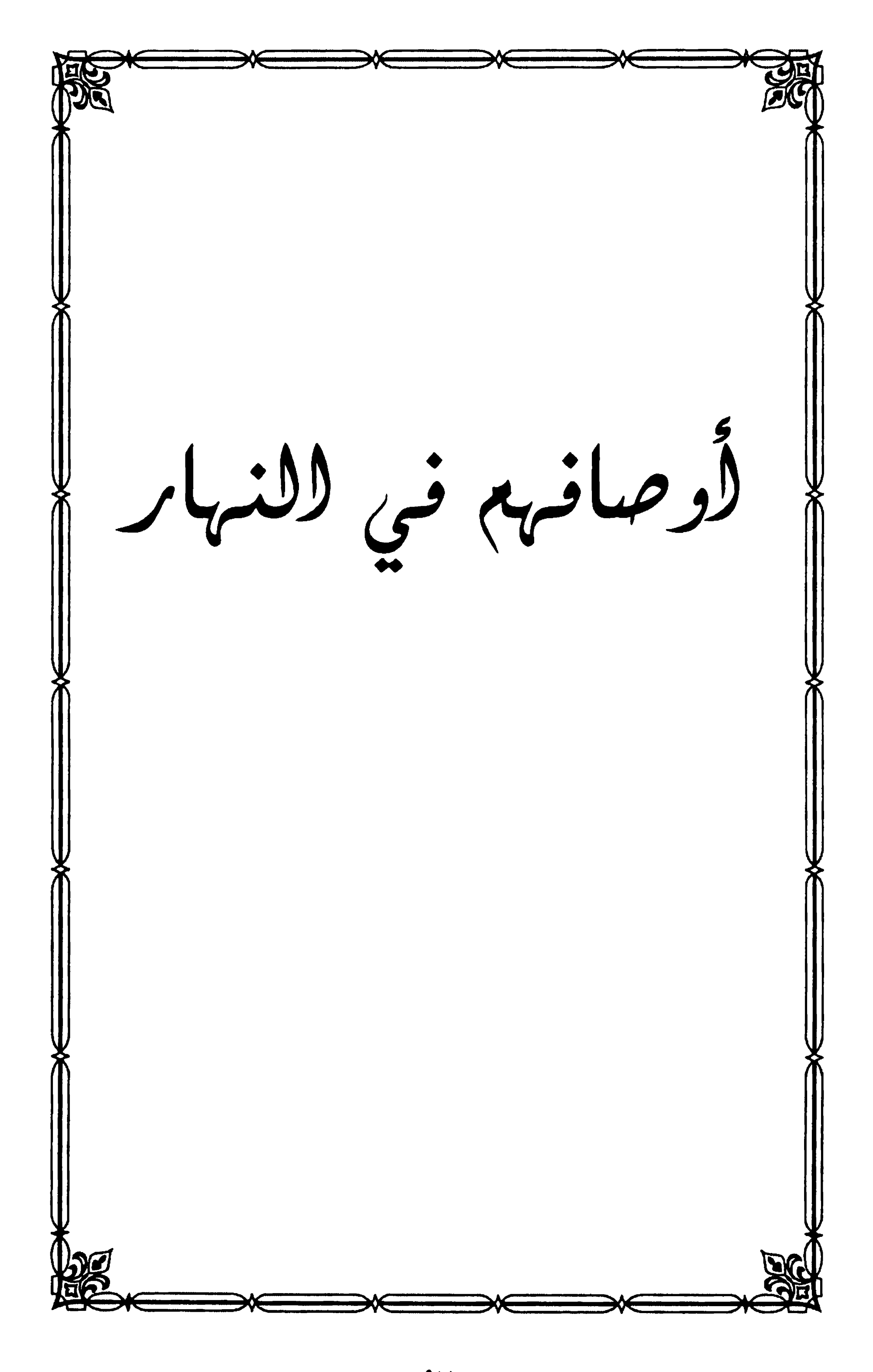
وروي عن الرسول ﷺ: **«الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض»**[٣].

وعن رسول الله ﷺ: **«ما من شيء أكرم على الله سبحانه وتعالى من الدعاء»**[٤].

وعن حنان بن سدير عن أبيه قال: قلت للباقر عليه السلام: أي العبادة أفضل، فقال: ما من شيء أحب إلى الله سبحانه وتعالى من أن يُسأل ويُطلب ما عنده، وما من أحد أبغض إلى الله سبحانه وتعالى ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده[٥]؛ لأن الدعاء مناجات العبد مع خالقه، ولا يشعر بلذّة المناجات إلا من عرف ربه، اسرعَ إلى دعائه ومناجاته، وكلما ازدادت معرفة العبد ازداد شوقاً إلى الدعاء وازدادت لذته بالمناجات، وإن طالت ساعات وساعات وهذا ما نلمسه في أدعية أهل البيت عليهم السلام.



(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٣) أصول الكافي: ج٢/ ص٤٦٨.
(٤) عدة الداعي: ص٤٩.
(٥) المصدر نفسه.



أوصافهم في النهار

أوصافهم في النهار



وأمّا النَّهارُ فحُلماءُ عُلمَاءُ، أبْرارٌ أتْقياءُ. قدْ بَرَاهُمُ الْخوْفُ بَرْيَ القِداح يَنْظرُ إليْهمُ النّاظرُ فَيحْسبُهُمْ مَرْضى وما بالْقوم مِنْ مَرَضٍ ويَقُولُ قدْ خُولِطُوا ولقَدْ خالطَهُمْ أمْرٌ عظيمٌ.

■ ■ ■

حُلماء عُلماء:

المتقون متصفون بالحلم والعلم.

أما الحلم: فهو فضيلة متوسطة بين رذيلتي المهانة والإفراط في الغضب، وهو من جنود العقل، ويقابله السفه وهو من جنود الجهل، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهائلة وعدم طيشها في المؤاخذة.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من لم تكن فيه ثلاثة خصال لم ينفعه الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجز عن المحارم، وخلق يداري به الناس»[1].

توضح لنا الرواية بأن الحلم: مناعة في النفس يتحصن بها الإنسان عند هجوم الغضب وحب الانتقام، والحلم عدة الإنسان في

---

(١) تحف العقول ص٨٨.

أشدّ مزالقه وأخطر حالاته: يجهل الجاهل فيحلم عنه العاقل فيكون حلمه ترفعاً عن مقابلة الدنيئ من الخصال.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا يُعدّ العاقل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحق من نفسه على حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، واستعمال الحلم عند العثرة»[1].

وأما العلم فهو أيضاً من جنود العقل ويقابله الجهل، المراد بكونهم علماء كمالهم في القوة النظرية بالعلم النظري الذي هو معرفة واجب الوجود ومعرفة تكاليفه وأحكامه، ومعرفة كل ما يتعلق بالأمور الشرعية والعلم أفضل الفضائل الكمالية وهو الموصل إلى معرفة ربّ العالمين والمعرفة تتوقف على العلم ولا تتيسر بدونه.

أبرار:

الأبرار: جمع برّ، أي: التوسّع في فعل الخير، والمراد من فعل الخير أعمّ مما هو عليه فعل القلب، كالاعتقاد الحق والنية الطاهرة، أو فعل الجوارح كالعبادة لله والإنفاق في سبيل الله تعالى. وقد اشتمل على القسمين جميعاً قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

---

(١) تحف العقول ص٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

والبِرّ: يراد به هنا الإنفاق بالمال لقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، في هذه الآية جعل الإنفاق غاية لنيل البرّ.

والإنفاق في كتاب الله تعالى لا ينفك عن إقامة الصلاة التي تعتبر عموداً للدين وأول سلوك يلتزم به الإنسان المتقي بعد الإيمان بالله واليوم الآخر وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[2].

إن اقتران إقامة الصلاة بالإنفاق في سبيل الله تعالى دليل على أن الإيمان بالله تعالى لا يكتمل إلا بالإنفاق وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5].

إن نفس الإنسان لن تتكامل ولا ترتقي في طريق الهدى إلا إذا تجاوزت صفات الشُحّ والبُخل وتحلَت بصفات الجود والكرم.

أتقياء:

والاتقياء: جمع تقي، المراد بالتقوى هاهنا الخوف من الله ومن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

وصايا النبي الأكرم ﷺ لأبي ذر: يا أبا ذر لايكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك لشريكة، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام[1].

وعن النبي ﷺ: «**رأس الحكمة مخافة الله**»[2]

وعن النبي ﷺ: «**من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا**»[3].

وعن النبي ﷺ: «**من العبادة شدّة الخوف من الله**»[4]

وعن الباقر عليه السلام قال: صلّى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدتُ أقواماً على عهد خليلي رسول الله، وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبرًا خمصاً بين أعينهم كركب البعير، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون.

وفي بعض الروايات كان زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر، كأنما القوم باتوا غافلين قال: فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى قبض عليه السلام[5].

---

(١) ميزان الحكمة ج١٠/ ص٦٤٢.
(٢) الفقيه ج٤/ ص٣٧٦.
(٣) الكافي ج٤/ ص٦٨.
(٤) نفس المصدر ص٦٩.
(٥) الكافي ج٢/ ص٢٣٦.

قد براهم الخوف برى القداح:

وبرى السهم يبريه، أي: نحته والقداح جمع قدح بالكسر فيهما، وهو السهم قبل أن يراش وينصل، وهو كناية عن نحافة البدن وضعف الجسد، أو زوال الآمال والمطالب الدنيوية[1]

القداح جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش أي قبل أن يلزق عليه الريش. وبراه: نحته، أي: رفق الخوف اجسامهم كما ترفق السهام بالنحت[2]

شرح لفعل الخوف الغالب بهم، وإنما يفعل الخوف؛ ذلك لاشتغال النفس المدّبرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن، ووقوف القوة الشهوية. وشبّه برى الخوف لهم ببري القداح، ووجه التشبه شدة النحافة[3].

المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك.

فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف[4].

وينقسم الخوف إلى: ناقص، ومعتدل، وزائد، فالناقص ما يكون سبباً للتألم مما يوجع القلب ويبكي العين، ولا يمنع من المحرمات والشهوات، ولا يبعث على مجاهدة العبادات فإذا سمع آية أو رواية واردة في وصف جهنم وشدة عقابها يبكي، واذا غفل ينقضي

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٤.
(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج٣/ ص١٨٧.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٨.
(٤) الكافي ج٣/ ص٧١.

أثره فلا يكفه عن شيء ولا يبعثه إلى أمر نظير رقة النساء، وهذا ناقص ووجوده كالعدم؛ لضعف نفعه وهو درجة خوف العامة.

والمعتدل: هو ما يبعث على العمل والتقوى والجهاد الأكبر.

والزائد: هو الذي يفضي إلى اليأس والقنوط، ويكفّ عن العمل[١].

الخوف حسن ويُعد من الفضائل بشرط أن يثمر في العمل، وإذا كان لا يثمر في العمل ويثمر في خلاف العملَ فيكون الخوف قبيحاً ولا نفع به، وأما خوف المتقين: هو الخوف المعتدل المثمر للأعمال الصالحة.

ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى:

ينظر الناظر إلى عباد الله الخائفين العارفين بالدنيا بأنها رأس كل خطيئة فتخلّوا عنها واعرضوا عنها، كما قال النبي ﷺ: **«إن في طلب الدنيا أضراراً بالآخرة وفي طلب الآخرة إضراراً بالدنيا فأضروا بالدنيا فإنها أحق بالإضرار»**[٢].

فتركوا الدنيا وما يلازمها من الزينة، وتوجهوا إلى الآخرة كبرت نفوسهم وزكت قلوبهم على حساب أجسامهم، فقد هزلت وضعفت أبدانهم واصفرت وجوههم من السهر، عمش عيونهم من البكاء، حدب ظهورهم، ذابلة شفاهم، خمص بطونهم، متغيرة ألوانهم. مثل هذه الصفات وغيرها ظاهرة على أبدانهم، والظاهر أن هذا الناظر لم

---

(١) أسرار الصلاة ص١٩٧.

(٢) الكافي ج٢/ ص١٣١.

يدرك هذه الصفات بأنها صفات عباد الرحمن، أو لم يخطر على باله أن هؤلاء عباد الرحمن، أو هذه الصفات غريبة عليه لم يسمع بها، وهذا الناظر يدرك أمراض البدن، وهو فعلاً لا يدرك أمراض الروح. والمتقون مهتمون بعلاج الروح وتجنب أمراضها، ويراجعوا الأطباء المتخصصين وهاملين البدن، والناظر مهتم بالبدن ولا يدرك أمراض الروح، وهذا الفرق واضح وهناك فرق آخر هو أن أمراض البدن غايتها الموت فقط، وبعد الموت تزول ولا يمكن أن تسير معك إلى العوالم الأخرى.

أما أمراض الروح تبقى بعد الموت وتلازم صاحبها في العوالم الأخرى.

فالمتقون قدّموا علاج الروح على علاج البدن.

وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا:

الذي ينظر لهذه الصفات التي اتّصف بها المتقون فيحسبهم مرضى، والمريض بطبيعة الحال يشكو من علة، وهم لا يشكون من أي علة يتألمون منها في أجسامهم، ولكن تألمهم من البعد عن ساحة الحقّ، وهمهم الأكبر الوصول إلى رضا المحبوب، ومثل هذه المعاني غريبة عند الذي لم يتذوقها فيرميهم بالجنون لعدم معرفته لها.

كما أن للجسم حواس يميز بها المحسوسات كذلك للروح حواس تميز بها الحقائق والمعاني، وكما أن حواس الجسم لا تعمل؛ بسبب الأمراض، فإن لحواس الروح أمراضاً أيضاً تمنعها من عملها، فعلى سبيل المثال فإن الذائقة الصحيحة تشخّص الطعام اللذيذ من غيره، لكن إذا طرأ عليها مرض يصبح الحلو عندها مراً، وكذلك روح

الإنسان ما دام لم تطرأ عليها الشهوات والأهواء، فإن الأعمال الصالحة والخصال الحميدة تكون عندها لذيذة، والأعمال الطالحة والفاسدة شنيعة.

وبصيرة الإنسان ما دامت مضيئة بنور الإيمان ترى الباطل، ولكن إذا أظلمت بالمعاصي ترى الباطل حقاً والحقّ باطلاً، وتكون الشهوات هي المعيار الوحيد للحق والباطل، فتهرب النفس من العبادة وتركن إلى المعاصي.

لقد خالطهم أمرٌ عظيم:

خولط فلان في عقله إذ اختلّ عقله وصار مجنوناً، ثم إن الأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله تعالى.

هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال الله تعالى ومطالعة أنوار الملأ الأعلى[(١)]

حكي أن أويس القرني رضي الله عنه كان يحضر القاصي فيبكي من كلامه، وإذا ذكر النار صرخ أويس، ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس يقولون مجنون مجنون[(٢)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

إذا تخلّى المؤمن من الدنيا، سما ووجد حلاوة حب الله، وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط، وإنما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره[(٣)].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٨.

(٢) إحياء علوم الدين ج٤/ ص٢٧٣.

(٣) الكافي ج٢/ ص١٣٠.

وقال عليه السلام: «إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو»[1].

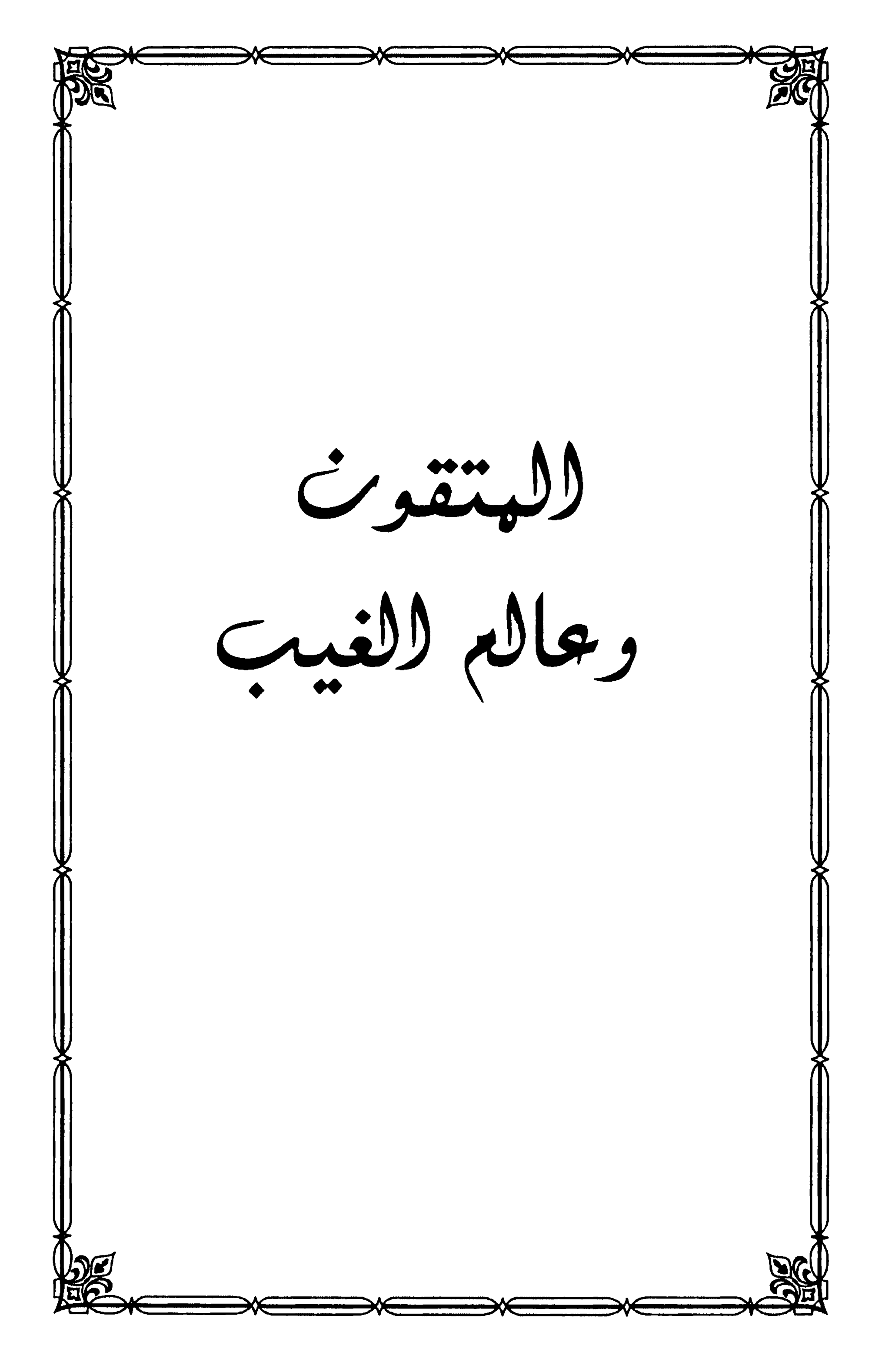
فمثل هؤلاء فهموا كمال العبودية، وصفت عقولهم حتى وافقت أنفسهم عقولهم، وانكسرت شهوة أنفسهم لا يُرجّحون شيئاً من اللذات على الطاعة ولا يؤلمهم شيء، مثل: تألمهم من ارتكاب المعاصي وقبحها فأصبحت جنتهم العبادة ومشاقها وصعوباتها، عذبة عندهم ويلتذون بالعبادة بما يفوق لذات الدنيا، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»**[2].



(١) المصدر السابق.

(٢) الكافي ج٢/ ص٨٣.



المتقون وعالم الغيب

المتقون وعالم الغيب



لَوْلا الأجَلُ الّذي كُتِبَ لهم لمْ تسْتقرَّ أرْواحُهُم في أجْسادِهِمْ طرْفةَ عيْنٍ شوْقاً إلى الثّوابِ، وخوْفاً مِنَ الْعقابِ. عَظُمَ الخالقُ في أنْفُسِهِمْ فصغُر ما دُونهُ في أعْيُنهِمْ، فهُمْ والجنةُ كمنْ قدْ رآها فهُمْ فيها مُنعمون، وهُمْ والنّارُ كمنْ قدْ رَآها فهُم فيها مُعذبون

■ ■ ■

الإيمان في الغيب:

الغيب: عبارة عن الأمور الغائبة عن الحواس الظاهرية، وقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1].

فأوّل صفة وردت في القرآن الكريم تصف المتقين هي: الإيمان بالغيب؛ ولعلّ السبب في ذلك أن الإيمان بالغيب: هو أصل كل اعتقاد، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «الذين يأمنون بالغيب يعني ما غاب عن حواسهم من الأمور التي يلزم الإيمان بها

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢ ـ ٣.

كالبعث والنشور والحساب والجنه والنار وتوحيد الله وسائر ما لا يعرف بالمشاهده وإنما يعرف بالدلائل قد نصب الله تعالى دلائل عليها»[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سُئل هل رأيت ربك؟ فقال: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[2].

لأن تجلياته تعالى عند العرفاء بصورة أشدّ وضوحاً حتى من العين الباصرة.

يمكن أن نخرج بنتيجة محال إدراك الغيب بالحواس الظاهرية، ولكن في مقام العبادة يمكن للإنسان أن يلتحق في مقام اليقين بدرجات العارفين، حيث إنها أقوى من المشاهدة والعيان؛ أعني التجلّي والانكشاف، فإنه مخصوص بالأنبياء والأوصياء.

لولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب:

هذا الشوق والخوف إذا بلغ حدّ الملكة، فإنه يستلزم دوام الجد في العمل والإعراض عن الدنيا ومبدئهما تصور عظمة الخالق، وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعدة ووعيدة، وبحسب قوة ذلك التصور تكون قوة الخوف والرجاء، وهما بابان عظيمان للجنة[3].

---

(١) مواهب الرحمن ج١/ ص٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج٤/ ص٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٥.

وهو إشارة إلى غاية نفرتهم عن الدنيا وفرط رغبتهم إلى الآخرة، لما عرفوا من عظمة وعده ووعيده يعني أنهم بكلتيهم متوجهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدة الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلا الآجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها(١).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام، وعفى نفسه بالصيام والقيام**»، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله! قال: «**إن أولياء الله سكتوا، فكان سكوتهم ذكراً ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كتبت عليهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم؛ خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب**»(٢).

وروي أن يحيى عليه السلام أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم، وسلكوا فيها السلاسل، وشدّوها إلى سواري المسجد.

فلمّا نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أماه! انسجي لي مدرعة من الشعر وبرنساً من الصوف حتى أتي بيت المقدس فأعبد إله مع الأحبار والرهبان فقالت له أمه: حتى يأتي نبي الله وأوامره في ذلك.

فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى عليه السلام.

فقال له: يابني ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبيٌ صغير؟

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج١٢/ ص١١٩.

(٢) الكافي ج٢/ ص٢٣٧.

فقال له: يا أباه أما رأيت من هو أصغر سنّاً مني قد ذاق الموت؟

قال: بلى.

ثم قال لأمه: انسجي له مدرعة من الشعر وبُرنساً من صوف، ففعلت فتدرَّع المدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله تعالى مع الأحبار حتى أكلت المدرعة لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من بدنه فبكى فأوحى الله تعالى ﷻ إليه: يا يحيى أتبكي مما نحل من جسمك! وعزّتي وجلالي لو اطلعت إلى النار اطلاعةً لتدرَّعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدا للناظرين أضراسهُ.

فبلغ ذلك أمهُ، فدخلت عليه، وأقبل زكريا ﵇ واجتمع الأحبار والرُهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه.

فقال: ما شعرت بذلك.

فقال زكريا ﵇: يا بني! ما يدعوك إلى هذا؟ إنما سألتُ ربي أن يهبك لي فتقر عيني بك.

قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه!

قال: ومتى ذلك يا بُني؟

قال: ألست القائل إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله؟

قال: بلى. فجد واجتهد وشأنك غير شأني.

فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته أُمُهُ فقالت: أتأذن لي أن اتّخذ لك قطعتي لُبود تُواريان أضراسك وتُنشّفان دموعك؟

فقال لها: شأنك.

فاتّخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه، فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه فحسر عن ذراعيه، ثم أخذهما يعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إن هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى لم يذكر جنةً ولا ناراً.

فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل، وأقبل يحيى قد لفَّ رأسهُ بعباءةٍ فجلس في غمار الناس، والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرائيل عن الله تبارك وتعالى: إن في جهنم جبلاً يُقال له السكرانُ، في اصل ذلك الجبل وادٍ يُقال له الغضبان لغضب الرحمان تبارك وتعالى، وفي ذلك الوادي جُبٌّ قامته مائة عام، في ذلك الجُبّ توابيت من نارٍ في تلك التوابيت صناديق من نارٍ، وثيابٌ من نارٍ وسلاسلٍ من نارٍ وأغلالٍ من نارٍ.

فرفع يحيى رأسه عليه السلام فقال: وا غفلتاه من السكران! ثم أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على أم يحيى، فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فإني قد تخوفت أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت.

فقامت فخرجت في طلبه حتى مرّت بفتيان من بني إسرائيل فقاموا فقالوا لها: يا أم يحيى أين تريدين؟

فقالت: أريدُ أن أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجههِ.

فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرّت براعي غنمٍ، فقالت له: ياراعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا؟

فقال لها: لعلك تُريدين يحيى بن زكريا؟

قالت: نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه.

قال: إني تركته الساعة على عقبة ثنيه كذا وكذا ناقعاً قدميه في الماء رافعاً بصرهُ إلى السماء يقول: وعزتك وجلاك يا مولاي لأذقتُ بارد الشراب حتى انظر إلى منزلتي منك.

فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه، فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها حتى أتى المنزل.

فقالت له: هل لك ان تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين؟ ففعل وطُبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم، فلم يقم لصلاته فنودى في منامه: يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري! فاستيقظ فقام وقال: يا رب أقلني عثرتي إلهي فوعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس.

وقال لأمه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك.

فتقدمت أمه فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به، فقال لها زكريا عليه السلام: دعيه، فإن ولدي قد كُشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش.

فقام يحيى عليه السلام فلبس مدرعته ووضع برنسه على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان[1].

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونهُ في أعينهم:

بحسب الجواذب الإلهية إلى الاستغراق في معرفته ومحبته، وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصور العظمة، وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لأصغرية ما دونه ونسبته إليه في عين بصائرهم[2].

علماً منه بأنه سبحانه موصوف بالعظمة والكبرياء والجلال، غالب على الأشياء كلها، قادر قاهر عليها وأن كل من سواه مقهور تحت قدرته داخر ذليل في قيد عبوديته، فهو سبحانه عظيم السلطان عظيم الشأن، وغيره أسير في ذل الإمكان مفتقر إليه لا يقدر على شيء إلا بأذنه. وأشار عليه السلام بهذا الوصف إلى شدة يقين المتقين وغاية توكلهم وأن اعتقادهم في جميع أمورهم به وتوكلهم عليه، وأنهم لا يهابون معه ممن سواه[3].

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله سأل ربه في ليلة المعراج فقال: «**يا رب أي الأعمال أفضل**»؟ فقال الله عز وجل: ليس شيء عندي أفضل من التوكل عليّ ورضا بما قسمت[4].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٣٣ ـ ٣٥ المجلس ٨.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٥.
(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج١٢/ ص١١٩.
(٤) إرشاد القلوب ج١/ ص١٩٩.

جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل جبرائيل عن معنى التوكل، فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك، لم يعمل لأحدٍ سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحدٍ سوى الله فهذا هو التوكل[1].

للتوكل درجات مختلفة بحسب اختلاف معرفة العباد، ولما كانت المعرفة درجات، فالتوكل بحسب درجات معرفة العبد بربوبية الحق.

أولاً ـ أن يكون حاله في حق الله والثقة بعنايته، كحاله بالثقة بالوكيل الذي يوكله بالدفاع عنه وهذا أضعف الدرجات.

ثانياً ـ أن تكون حاله مع الله كحال الطفل مع أمه، فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلا إليها ولا يعتمد إلا عليها، فإن رآها تعلق بذيلها، وإن ورد عليه أمرٌ في غيبتها كان أول سابق لسانه يا أماه.

ثالثاً ـ أن يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته، مثل الميت بين يدي الغاسل بأن يرى نفسه ميتاً وتحركه القدرة الإلهية، كما يحرك الغاسل الميت، وهو الذي قويت نفسه ونال الدرجة الثالثة من التوحيد.

الفرق بين المرتبة الثانية والمرتبة الثالثة: إن صاحب المرتبة الثانية لا يترك الدعاء والتضرع، كما أن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها.

---

(١) بحار الأنوار ج٦٨/ ص١٣٨.

وصاحب المرتبة الثالثة ربما يترك الدعاء والسؤال ثقة بكرمه وعنايته، فهذا مثل الصبي علم أنه إن لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وإن لن يسأل اللبن فهي تسقيه. ومن هذا القسم توكل إبراهيم الخليل عليه السلام لما وضع في المنجنيق ليرمى به إلى النار، وأشار إليه الروح الأمين بسؤال النجاة والاستخلاص من الله سبحانه وتعالى، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وهذه المرتبة مرتبة الصديقين وهي نادرة الوقوع عزيزة الوجود[1].

فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون:

صاروا لشدة يقينهم ومكاشفتهم، كمن رآى الجنة فهو يتنعم فيها، وكمن رآى النار وهو يعذب فيها ولا ريب أن من يشاهد هاتين الحالتين يكون على قدم عظيمة من العبادة والخوف والرجاء[2].

إشارة إلى أنهم صاروا في مقام الرجاء والشوق إلى الثواب وقوة اليقين بحقائق وعده سبحانه بمنزلة من رأى بحس بصره الجنة وسعادتها، فتنعموا فيها والتذوا بلذائذها وفي مقام الخوف من النار والعقاب، وكمال اليقين بحقائق وعيده تعالى بمنزلة من شاهد النار وشقاؤها فتعذبوا بعذابها وتألموا بآلامها. ومحصل جمعهم بين مرتبتين: الخوف والرجاء، وبلوغهم فيه إلى الغاية القصوى وهي مرتبة

---

(١) انظر: جامع السعادات ج٢/ ص٣٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٤٢.

عين اليقين، كما قال عليه السلام مخبراً عن نفسه: «لو انكشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[1].

أقول فالمتقون أدركوا أسرار الغيب؛ لأنهم ارتفعت عن أنفسهم حجب السيئات فصاروا كمن رآى الجنة فهو يتنعم فيها، وكمن رآى النار وهو يُعذب فيها وهذه الصورة غائبة عن مشاهدة الأبصار مختصة بإدراك البصائر، وكما في الحديث: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والارض)[2].

نفهم من هذا الحديث أن النظر إلى أمور الغيب يكون ممكناً بعد ارتفاع الحجب ومجاهدة النفس.

روايات الجنة:

من هنا نجد تلامذة الأئمة عليهم السلام كانوا يطلبون منهم أن يرغبوهم في الجنة ويشوقوهم إليها يخوّفوهم من النار ويحذروهم منها.

فعن أبي بصير، قال: قلت لابي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله شوّقني إلى الجنة.

فقال عليه السلام: «يا أبا محمد إن من أدنى نعيم الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدنيا، وإن أدنى أهل الجنة منزلاً لو أنزل به أهل الثقلين الجن والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص ممّا عنده شيء».

---

(١) منهاج البراعة ج١٢/ص١٢٠.

(٢) جامع السعادات ج١/ص١٠٦.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «وإن أيسر أهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق فإذا دخل أدناهنّ رآى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والأثمار ما شاء الله مما يملأ عينه قرّة، وقلبه مسرّة فإذا شكر الله وحمده قيل له: ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية». وهذا معناه أن الشكر سبب لمزيد العطاء الإلهي حتى في الآخرة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

ثم أضاف عليه السلام، فيقول: أعطني هذه، فيقول الله تبارك وتعالى إن أعطيتك إياها سألتني غيرها؟ فيقول: ربي هذه هذه...

إذ لا حدّ لطمع الإنسان باعتبار حبه للكمال المطلق، فكلما يعطى يريد المزيد.

ثم قال عليه السلام: فإذا هو دخلها شكر الله وحمده أيضاً، فإذا شكر الله وحمده قال: فيقال: افتحوا له باب الجنة ويقال له: ارفع رأسك هذه الحديقة الثالثة، فإذا فتح له باب جنات الخلد ويرى أضعاف من كان فيه، قيل: فيقول عند تضاعف مسرّاته: ربي لك الحمد الذي لا يُحصى إذ مننت عليّ بالجنان ونجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت ثم قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد إن في الجنة نهراً في حافته جوار نابتات، إذا مرَّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله مكانها... فلا ينقص عطاء الله، بل لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، إذ كل ما وجد جوع وعطش وطلب وحاجة يوجد هناك عطاء وجود وكرم ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

إلى أن يقول أبو بصير: قلت: جعلت فداك ألهنّ كلام يكلّمن به أهل الجنة؟ قال عليه السلام: نعم كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله، قلت: ما هو؟ قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن المقيمات فلا نضعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خُلق لنا وطوبى لمن خُلقنا له نحن اللواتي لو أن قرن إحدانا علّق في جوّ السماء لأغشى نوره الأبصار[1].

وفي رواية ليلة المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت فيها قيعان ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وربما امسكوا فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال بنينا وإذا سكت أمسكنا...**»[2].

وحين استبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الخبر وظنوا أن قصورهم في الجنة كثيرة، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إياكم أن ترسلوا عليها ناراً فتحرقوها**»[3].

روايات النار:

روي بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له يابن رسول الله: خوفني فإن قلبي قد قسا فقال: يا ابا محمد استعد للحياة الطويلة، فإن جبرائيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو غاضب، وقد كان قبل

---

(١) تفسير القمي ج٢/ ص٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج١٨/ ص٢٩٢.

(٣) أمالي الصدوق ص٧٠٤.

ذلك يجيء وهو مبتسم، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرائيل جئتني اليوم غاضباً، فقال: يا محمد قد وضعت منافيخ النار، فقال: **«وما منافيخ النار يا جبرائيل»**؟

فقال: يا محمد إن الله ﷻ أمر بالنار، فنفخ عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة، لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها.

ولو أن حلقة واحدة من السلسله التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرائيل، فبعث الله إليهما ملكاً، فقال لهما إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول: قد آمنتكما إن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله ﷺ جبرائيل مبتسماً بعد ذلك، ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار وان أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم، وإن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها، فهذه حالهم وهو قول الله ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[1].

ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام حسبك؟ قلت: حسبي حسبي[2].

(١) سورة الحج، الآية: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج٨/ ص٢٨٠.

روي بسند معتبر عن عمرو بن ثابت عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إن أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب، فما ظنك يا عمرو بقوم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم عذابها، عطاشى فيها جياع كليلة أبصارهم، صمّ بكم عمي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم، فلا يرحمون من العذاب ولا يخفف عنهم، وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون، ومن الزقوم يأكلون وبكلاليب[1] النار يحطمون، وبالمقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون، فهم في النار يسحبون على وجوههم مع الشياطين يقرنون، وفي الأنكال والأغلال يُصفدّون، إن دعوا لم يستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تقضِ لهم هذه حال من دخل النار[2].

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وقد اطفأت سبعين مرة بالماء ثم التهبت، ولذلك ما استطاع آدمي أن يطيقها، وأنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة، لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها**»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه؟

---

(١) الكلاليب: جمع الكلاب والكلوب حديدة معطوفة الرأس يجر بها.

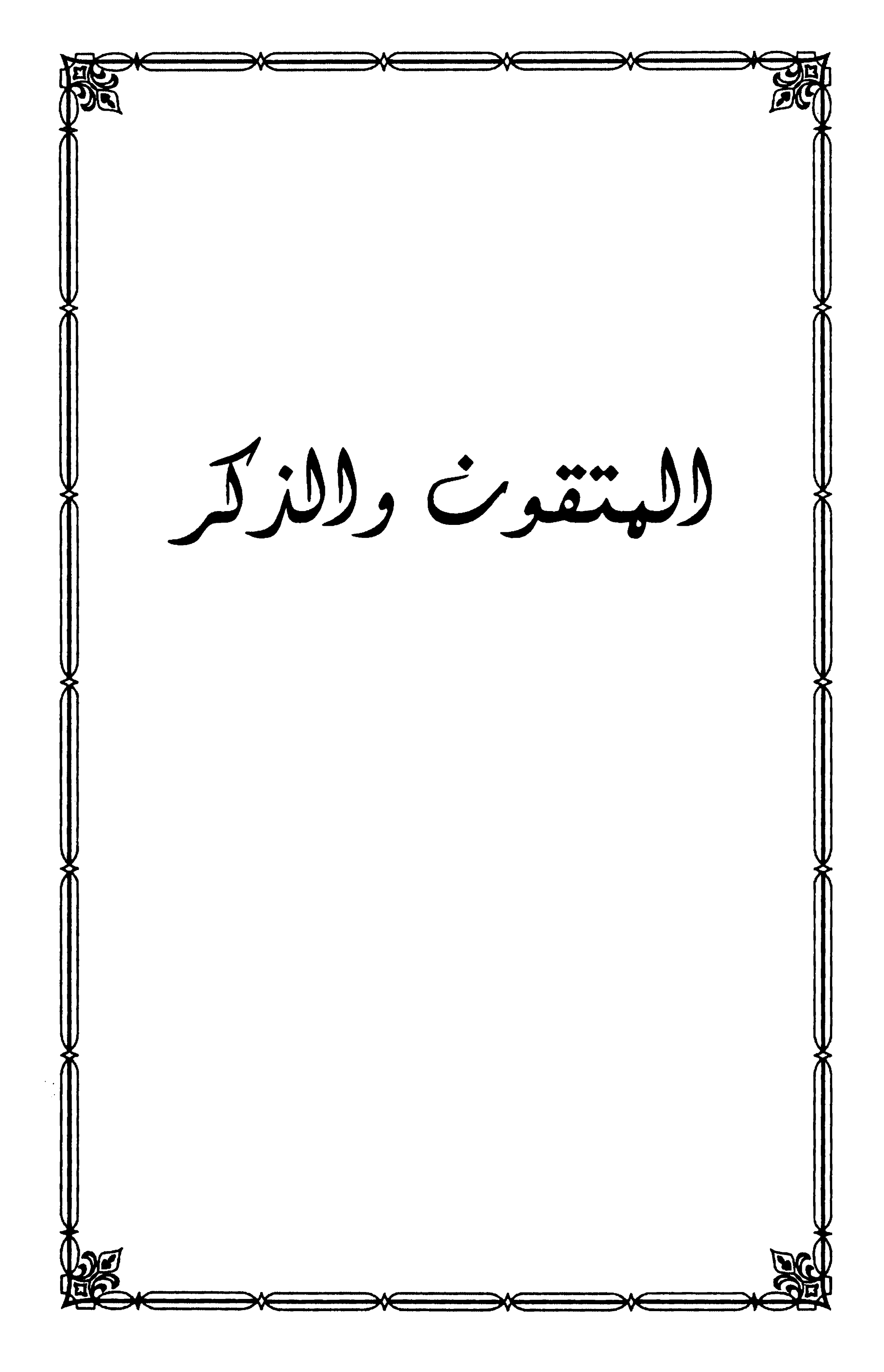
(٢) بحار الأنوار ج٨/ ص٢٨١.

(٣) بحار الأنوار ج٨/ ص٢٨٨.

فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر، وقرين شيطان، أعلمتم أن مالكاً إذا غضب على النار خطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجراته[1].



(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٨٣.



المتقون والذكر

المتقون والذكر



إنّ كان في الغافلينَ كُتِبَ في الذَّاكرين.

وإن كانَ في الذَّاكرينَ لمْ يُكْتَبْ منَ الغافلينَ.

■ ■ ■

إن كان في الغافلين كُتب في الذاكرين:

قالوا في المعنى: لعلّ الغرض أنه لا يزال ذاكراً لله سواء كان مع الغافلين أو مع الذاكرين، أما إذا كان في الغافلين فيذكر الله بقلبه وبلسانه أيضاً فيصير سبباً لذكرهم أيضاً فيكتب أنه في الذاكرين[1].

وأيضاً قالوا في المعنى: إن رآه الناس في أعداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر بلسانه كتب عند الله من الذاكرين؛ لاشتغال قلبه بالذكر وإن تركه بلسانه وإن كان من الذاكرين بلسانه بينهم، فالظاهر أنه لا يكتب من الغافلين[2].

أنه لا يزال ذاكراً لله تعالى سواء كان جالساً مع الغافلين أو مع الذاكرين، إما إذا كان مع الغافلين فإنه يذكر الله بقلبه، وإما إذا كان مع الذاكرين فإنه يذكر الله بقلبه ولسانه[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ص١٥٩.

نعم يتأكد حسن الذكر في العلن عند الغافلين؛ لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من كان ذاكراً لله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين والمقاتل عن الفارين له الجنة»**[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الذاكر لله عز وجل في الغافلين كالمقاتل في المحاربين»[(٢)].

قال النبي صلى الله عليه وآله: **«من ذَكرَ الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناسِ، وشغلهم بما فيه، كتب الله له ألف حسنة وغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر»**[(٣)].

فالمتقون لا يحجبهم شيء عن ذكر الله سبحانه وتعالى، ذاكرون الله سبحانه دائماً سواء كانوا في مجالس الغافلين أو في مجالس الذاكرين؛ لأن الذكر باعثاً على الجد في البصيرة، وإزاحة الحجب فلذلك صار الذكر لهم ملكة راسخة.

الغافلين:

والغفلة: صفة القلب توجب ترك الحق، وعدم ذكر الموت وما بعده[(٤)].

فالمغفول عنه: هو الموت والآخرة. وعواقب الأمور التي لا بدّ للعاقل التنبه إليها بشكل مستمر.

---

(١) الكافي: ج٢/ ص٥٠٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عدة الداعي: ص٤٢٤.

(٤) شرح أصول الكافي: ج١٠/ ص٤٧٩.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم»[5].

الغفلة: عبارة عن فقدان البصيرة، فذلك يعني العمى، وذلك ما عليه الكفار وعبيد الدنيا بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[6].

فهؤلاء يمتلكون الأعين غير أنهم عمي؛ لافتقادهم البصيرة، والقرآن ينظر إليهم على أنهم أضلّ من البهائم؛ لأنها لاتملك قابليات الإنسان فيما يمتلك عمي القلوب والعديد من القابليات، لكنهم

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٣) يونس، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١.

(٥) نهج البلاغة خطبة: ١٨٨.

(٦) سورة الروم، الآية: ٧.

يتمادون في غيّهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]، فاقدين البصيرة عندهم حياة الدنيا عبارة عن لعب ولهو، وأما الكمالات والفضائل فلا معنى لها بالنسبة لهم، وهم كما عبّر عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: «كالبهيمة المربوطة همها علفها»[2].

إن كان في الذاكرين لم يُكتب من الغافلين:

لعلّه أشار إلى أن هناك من هو موجود في مجالس الذكر، ويُعَد أنه من زمرة الذاكرين فيكتب من الغافلين، وإليك توضيح ذلك.

أولاً ـ من كان في مجالس الذاكرين يذكر الله وقصده الرياء، كما قال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

وقال بعض المفسرين إنما وصف الذكر بالقلة؛ لأنه سبحانه لم يقبله، وكل ما رده الله فهو قليل، فقد ظهر بذلك أن الذكر المشوب بالرياء غير مكتوب في صحائف الحسنات، بل في صحائف السيئات، والذاكر كذلك مكتوب في الخائنين الخاسرين فضلاً عن الغافلين.

ثانياً ـ من كان في مجالس الذكر يذكر الله بلسانه مع عدم موافقة القلب للسان، ومثال ذلك لسانه يلهج بذكر الله وقلبه مشغول بغير ذكر الله، والذكر صفة من صفات القلب فمثل هذا الذاكر يُسمى غافلاً.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

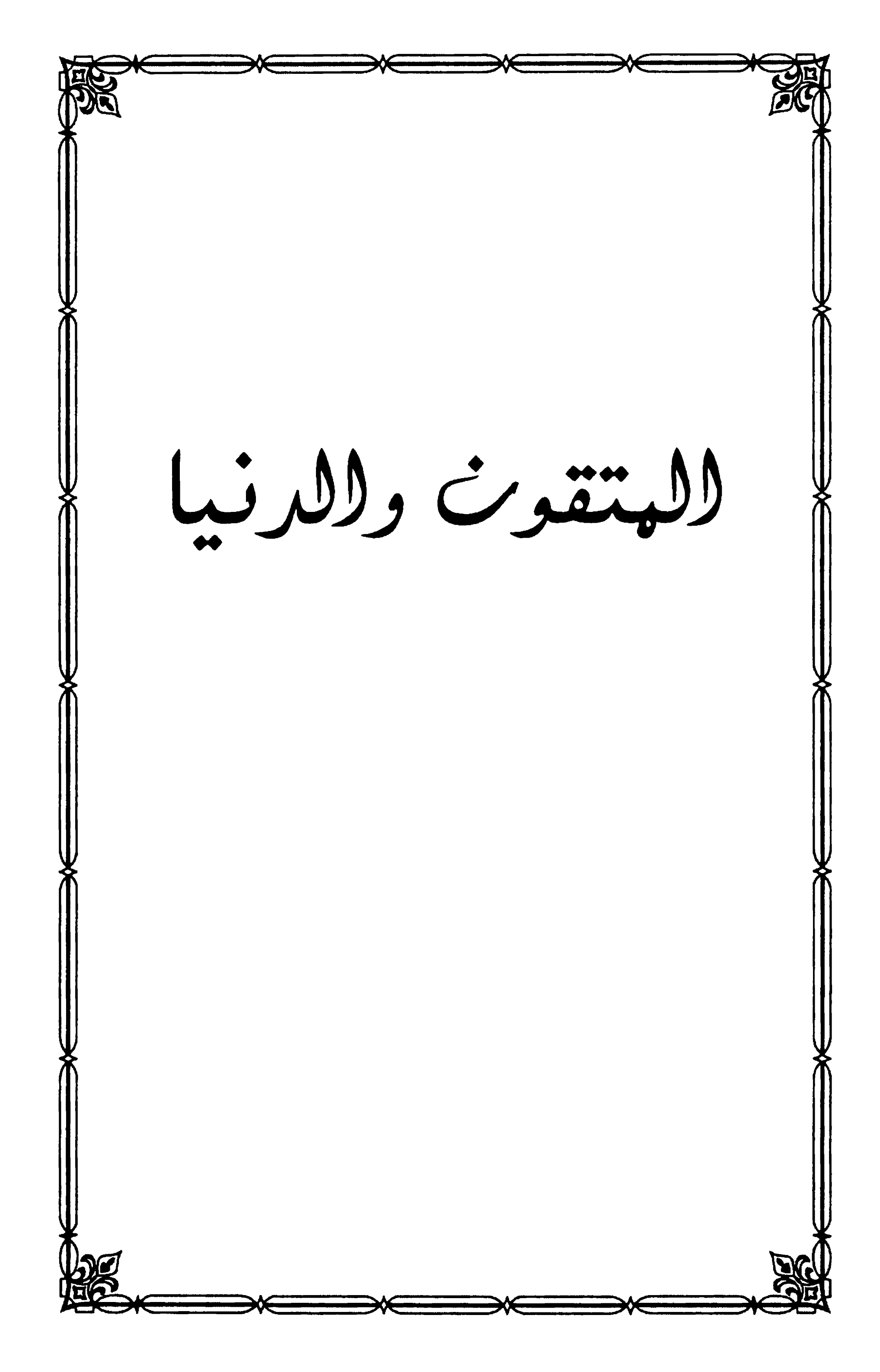
(٢) نهج البلاغة الرسائل: ص٥٧٢ رقم ٤٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

ثالثاً ـ من كان في مجالس الذكر يذكر الله بلسانه مع موافقة القلب للسان على وجه الخلوص والقربة لم يكتب من الغافلين.

فالمتقون الذين وصفهم الإمام عليه السلام حقيقة الذكر تحولت إلى صورة باطنية للقلب وظهرت آثار الذكر على أفعالهم وجوارحهم.





المتقون والدنيا

المتقون والدنيا



أرادتْهمُ الدُّنيا فلمْ يُريدُوها، وأسرتهُمْ ففدوْا أنفُسهُم منها، قرّةُ عيْنهِ فيما لا يزُولُ، وزهادتُهُ فيما لا يبقى، صبرُوا أيَّاماً قصيرةً أعْقبتهُمْ راحةً طويلةً، تجارةٌ مُربحةٌ يسَّرها لهم ربُّهُمْ.

■ ■ ■

أرادتهم الدنيا فلم يريدوها:

المتقون عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم إشارة إلى الزهد الحقيقي، وهو الملكة تحت العفة، وكنى بإرادتها عن كونهم أهلاً؛ لأن يكونوا فيها رؤساء أو أشراف كقضاة ووزراء ونحو ذلك، وكونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها(١).

أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة مطلقاً، وتمكنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه فلم يقبولها ولم يسعوا في تحصيلها(٢).

أقول: المتقون يشخصون طريق الحياة الطيبة بعين البصيرة ولا تخدعهم الدنيا وزخارفها، أنظارهم متعلقة بعاقبة الأمور وليس في الحاضر، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إن أولياء الله

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤١٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٣٣.

هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا اذ نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها اذ اشتغل الناس بعاجلها»[1].

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له**»، فقال له الملك: والذي بعثك بالحق نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقول في السماء الرابعة حين أُعطيت المفاتيح[2].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن الناس في الدنيا ضيف وما في أيديهم عارية، وأن الضيف راحل وأن العارية مردودة، ألا وإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البرّ والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيه ملك عادل قاهر، فرحم الله من نظر لنفسه، ومهد لرمسه، وحبله على عاتقه مُلقى قبل أن ينفذ أجله وينقطع أمله ولا ينفع الندم**»[3].

وقال الحسن عليه السلام: «من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، ومن ازداد حرصاً على الدنيا لم يزداد منها إلا بعداً، وازداد هو من الله بغضاً، والحريص الجاهد والزاهد القانع كلاهما مستوف أكله غير منقوص من رزقه شيئاً، فعلامَ التهافت في النار والخير كله في صبر ساعة واحدة تورث راحة طويلة وسعادة كثيرة، والناس طالبان:

---

(١) نهج البلاغة الحكم القصار: ص٧٤٨ رقم ٣٢٤.

(٢) الكافي: ج٢/ ص١٢٩.

(٣) إرشاد القلوب: ص٢٢.

طالب يطلب الدنيا حتى إذا أدركها هلك، وطالب يطلب الآخرة حتى إذا أدركها فهو ناج فائز، واعلم أيها الرجل أنه لا يضرك ما فاتك من الدنيا، وأصابك من شدائدها إذا ظفرت بالآخرة، وما ينفعك ما أصبت من الدنيا إذا حرمت الآخرة[1].

روي عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: «لمّا تجهز الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم، أن يكون هو المقتول بالطفّ، فقال: أنا أعرف بمصرعي منك وما وكْدِي من الدنيا إلّا فراقها، ألا أخبرك يا بن عبّاس بحديث أمير المؤمنين عليه السلام والدنيا؟ فقال له: بلى لعمري إني أُحب أن تحدثني بأمرها، فقال أبي: قال علي بن الحسين عليه السلام سمعت أبا عبد الله الحسين عليه السلام يقول: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: إني كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام، فإذا أنا بامرأة قد قحمتْ عليَّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها، فلمّا نظرت إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها، فشبّهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من أجمل نساء قريش، فقالت: يا بن أبي طالب، هل لك أن تتزوّج بي فأُغنيك عن هذه المسحاة وأدلّك على خزائن الأرض فيكون لك (الملك) مابقيت ولعَقبك من بعدك؟ فقال لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ فقالت: أنا الدنيا.

قال: (قلت) لها: فارجعي واطلبي زوجاً غيري فلستِ من شأني، فأقبلت على مسحاتي، وأنشات أقول:

لقد خاب من غرّته دنياً دنيّة ... وما هي أن غرّت قروناً بنائل

---

(١) إرشاد القلوب ص٢٢.

أتتنا على زيّ العزيز بثينة وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها: غرّي سواي فإنّني عَزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فإنّ محمّداً أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل
وهيهات أُمني بالكنوز وودُّها وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرنا ويطلب من خزّانها بالطوائل؟
فغُرّي سواي إنّني غير راغبٍ بما فيك من ملك وعزٍّ ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رُزِقته فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإنّي أخاف الله يوم لقائه وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد حتى لقي الله تعالى محموداً غير ملوم ولا مذموم، ثم اقتدت به الأئمة من بعده بما قد بلغكم، لم يتلطخوا بشيء من بوائقها.

وأسرّتهم الدنيا ففدوا أنفسهم منها:

فأما أسرّها إياهم؛ فلأن أرواح الأولياء قدسية، ومقامها في عالم الجسد، أي: على خلاف مقتضى طبيعتها، فهي غريبة في هذا العالم، ووصفوها بالكلية إلى عالمها، فهي أسيرة هنا من حيث الغربة وعدم الملائمة، فدائماً يستعد ويتهيئ للسفر الحقيقي ويزيل المثبطات ويرفعها من البين؛ ولذلك فدوها[١].

إشارة إلى أن من تركها وزهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع بها، فقد فك بذلك ترك والإعراض والتمرن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤١٧.

الأشبه أن يكون المراد من قوله: أسرتهم هو الإشراف على الأسر، يعني أنهم بمقتضى المزاج الحيواني والقوة النفسانية التي لهم كاد أن تغرهم الدنيا، فيميلوا إليها ويقعوا في قيد أسرها وسلسلة رقبتها، لكنهم نظروا إليها بعين البصيرة، وعرفوها حق المعرفة، وغلب عقلهم على شهوتهم، فرغبوا عنها وزهدوا فيها وأعرضوا عن زبرجها وزخارفها، فالمراد بفداء أنفسهم منها هو الإعراض عن الزخارف[1].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن بصر بها بصرته ومن بصر إليها أعمته»[2].

فالمتقون وإن أسّرتهم الدنيا لا تخدعهم، أنظارهم متعلقة بعاقبة الأمور، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذ اشتغل الناس بعاجلها»[3]

أقول: إن محرر المتقين من أسر الدنيا هي البصيرة. ووضوح الرؤية والبصيرة هي أول مميزات المتقين.

قرة عينه فيما لا يزول:

قرة العين لقرة بالضم وقروراً: بردت سروراً[4].

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٢/ ص١٢٣.
(٢) نهج البلاغة الحكم القصار: ص١١٥ رقم ٨٢.
(٣) نهج البلاغة: ص٧٤٨ رقم ٤٣.
(٤) المصباح المنير: ص٤٩٧.

وفي المنجد: قرة عينه، أي: بردت سروراً وجف دمعها، وقرة عينه ما تقرّ به عينه وتسر[1].

أن يرى قرة عينه فيما لا يزول من الكمالات النفسانية الباقية، كالعلم والحكمة ومكارم الأخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة، وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه؛ لاستلزامها لقرار العين وبردها برؤية المطلوب[2].

قرة عين فلان وأقر الله عينه، كفّر وغضّ أي أسرَّ وفرح ومعناه: أبرد الله دمعة عينه لأن دمعة الفرح والسرور باردة ودمعة الحزن حارة وقيل: معنى أقر الله عينك بلغك منيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره وقيل: معناه أبرد الله عينك بأن ينقطع بكاؤها وقرة عين كل أحد مأموله ومنتهى رضاه[3].

المتقون: هم الذين أدركوا حقيقة الدنيا ونظروا إليها نظرة واقعية، فعلموا أنها لا تبقى فزهدوا بها، وأن الآخرة لا تزول فصرفوا قلوبهم ووجدانهم نحوها، كما قال الإمام عليه السلام: «قرة عينه فيما لا يزول».

وهذا هو شأن الإنسان العاقل الذي لا يفرط في الباقي من أجل الفاني، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[4].

---

(١) المنجد: ص٦١٦.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢١.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٢٨.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

والإنسان إنما ينال السعادة بالواقعية لا بالأوهام، فلا بدّ أن يجعل هذه الحقيقة نصب عينيه، ثم لا يغفل عنها.

وزهادته فيما لا يبقى:

فالزهد: عبارة عن الترك واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير وأرفع، والزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية، وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها، ويدخل حب الطاعات مكانها[١].

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصّره عيوبها، ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة، وقال: لم يطلب أحدٌ الحقّ بباب أفضل من الزهد في الدنيا، وهو ضدّ لما يطلب أعداء الحقّ، قلت: جعلت فداك ماذا؟ قال: من الرغبة فيها، وقال إلا من صبّار كريم فإنما هي أيام قلائل، ألا أنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان متى تزهدوا في الدنيا؟[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا»**[٣].

---

(١) أحوال السالكين: ص٢٠٦.

(٢) الكافي: ج٢/ ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ج٢/ ص١٢٨.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا دائها ودوائها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار سلام[1].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «أيها الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والتورع عند المحارم»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3]، ومن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه»[4].

وقال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5].

يظهر من النصوص المباركة أن الزهد أمر قلبي، فليس الزهد أن لا تملك المال، بل أن لا يملكك المال.

صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة:

الصبر: هو حبس النفس عن الجزع.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) نهج البلاغة: ص١٠٦ خطبه ٨١.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٤) نهج البلاغة: ص(٥٥٣ ـ ٥٥٤) الحكم القصار ٤٣٩.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

إن الصبر مقاومة النفس الأمارة بالسوء؛ لئلا تنقاد إلى قبائح اللذات[1].

يعني: أنهم صبروا في الدنيا على طوارق المصائب، وعلى مشاق الطاعات وعن لذات المعاصي، بل تحملوا جميع مكاره الدنيا، واستعملوا الصبر في الجميع[2].

الصبر: من المفاهيم العامة التي لها قيم أخلاقية، ويشير إليه ما روي عن النبي الأكرم ﷺ: «**الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبرعلى الطاعة، وصبرعن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش**»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي على الناس زمان لا ينال فيه الملك إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتّباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغض وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العزّ، آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدقوا بي**»[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤١٦.
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٢/ ص١٢٢.
(٣) الكافي: ج٢/ ص٩١.
(٤) المصدر نفسه.

إن الصبر على المعصية يبعث على تقوى النفس، والصبر على الطاعة يسبب الاستئناس بالحق ﷻ، والصبر على البلايا يوجب الرضا بالقضاء، وللصبر نتائج كثيرة منها: ترويض النفس.

تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم:

تجاره مربحة: استعار لفظ التجارة؛ لاكتسابهم الراحة في مقابل الصبر، ورشح بلفظ الربح وكونها مربحة باعتبار قصر مدة الصبر على المكاره وطول مدة الراحة وفناء الشهوات الدنيوية واللذائذ النفسانية، وأكد ثالثاً بقوله: «يسرها لهم ربهم»: يعني أن فوزهم بتلك النعمة العظمى والسعادة الدائمة قد حصل بتوفيق الله سبحانه وتأييده ولطفه، ففيه إيماء إلى توجيه العناية الربانية إليهم، وشمول الألطاف الإلهية عليهم، وإلى كونهم بعين رحمة الله وكرامته[1].

أقول: أعقبتهم راحة طويلة: هي الحياة الطيبة التي وعد الله المؤمنين بها في القرآن والروايات هي غير حياتنا الطبيعية، ووصفها الإمام بالتجارة المربحة؛ لأن المشتري الله ﷻ، والبائع هو المؤمن الكامل، والمباع هو النفس والمال، والثمن هو الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[2].

فالمشتري هو الله مع أنه تلطف علينا بجميع الأشياء، إلا أنه يقول: اشتري وكأن الإنسان يملك شيئاً لا يملكه الله تعالى، والحال

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٢/ ص١٢٣.

(٢) سورة التوبه، الآية: ١١١.

كل ما يملكه الإنسان ويحصل عليه عطاء من الله وتكرماً منه على الإنسان، وبالرغم من كل ذلك فإنه يخاطب عباده كشخص محتاج لغيره إذ يقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1].

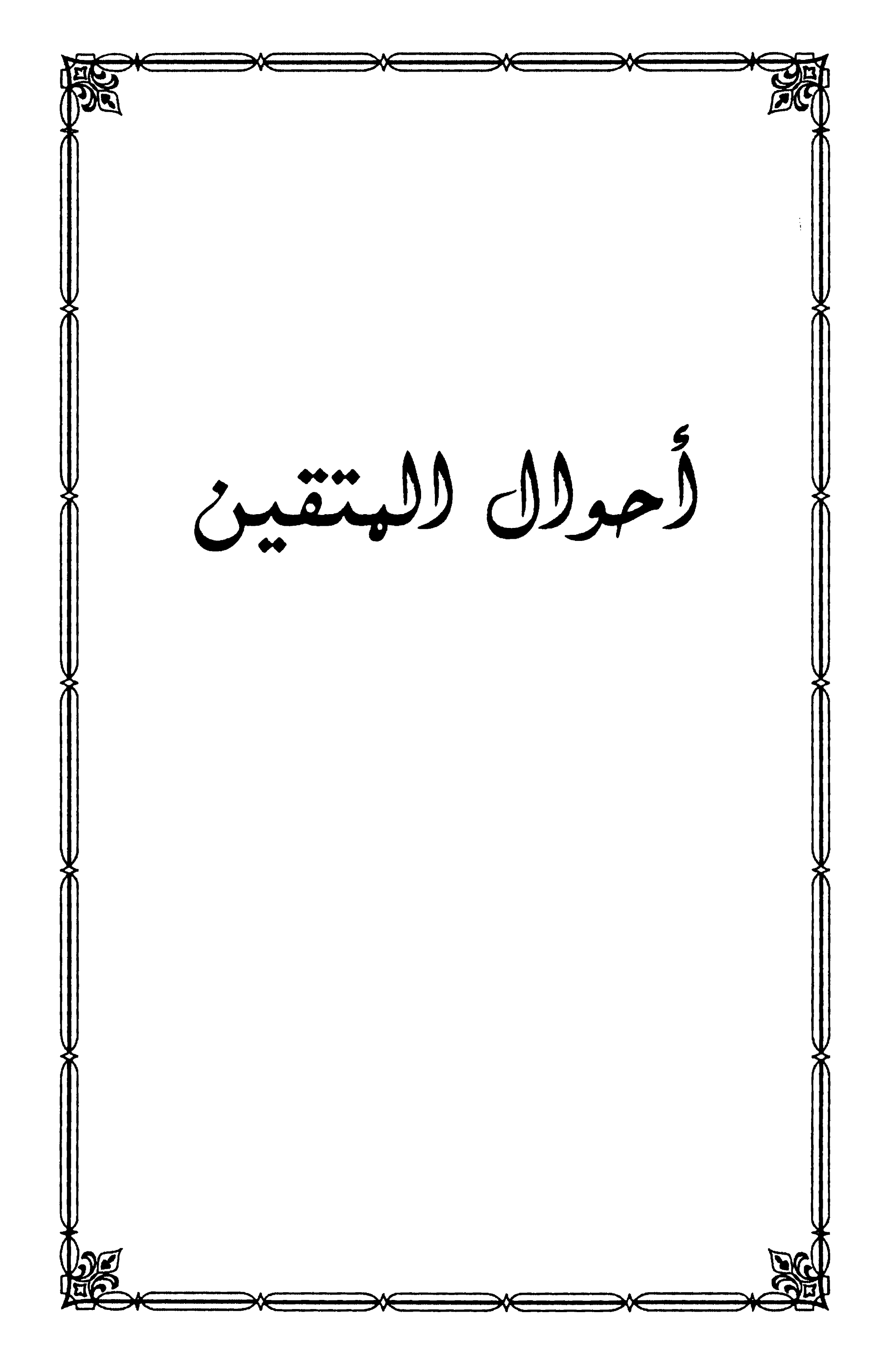
أن الله تعالى حرّم الربا على خلقه إلا في المعاملة معه، فإنها حلال اذ يقول تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[2].

فالمتقون يتاجرون في سوق الرحمة ويحصلون على المتاع الباقي، وغيرهم يحصلون على المتاع الفاني؛ لأن العالم هو عالم التجارة والفضل، وعالم الاكتساب والمعيشة والوجود كله فضل ورحمة.



(١) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.



أحوال المتقين

أحوال المتقين



في الزَّلازلِ وقورٌ وفي المكاره صَبُورٌ،
وفي الرَّخاءِ شكُورٌ،
نُزِّلتْ أنفُسُهمْ منهم في البلاءِ كالّتي نُزِّلتْ في الرخاءِ.

■ ■ ■

في الزلازل وقور:

يعني أنه في النوازل والشدائد والحوادث العظيمة الموجبة اضطراب الناس متصف بشدة الوقار والسكينة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أي: «لا تحركه الخطوب الطارقة». ويقال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يصلي فوقعت عليه حيّة، فلم يتحرك لها، ثم انسابت بين قدميه، فما حرك أحدهما عن مكانه ولا تغير لونه[١].

قال العلامة المجلسي (قده): «الزلازل: الشدائد، والوقور: فعول من الوقار بالفتح وهو الحلم والرزانة»[٢].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ص١٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٣٩.

وقال ابن ميثم: «كنّى بها عن الأمور العظام، والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب وأحوال الناس، والوقار ملكة تحت الشجاعة[1].

والوقار يتناول الأناة والتوقف كليهما، فهو طمأنينة النفس وسكونها في الأقوال والأفعال والحركات قبل الدخول فيها وبعده، وهو من نتائج قوة النفس وكبرها وما قل من الفضائل النفسانية أن يبلغ مرتبته في الشرافة، ولذا يمدح به الأنبياء والأصفياء، وورد في الأخبار أن المؤمن متصف بالوقار البتة[2].

المتقون في الشدائد والحوادث الموجبة اضطراب الناس، تزلزل قلوبهم متصفون بشدة الوقار وهو عبارة عن اطمئنان النفس وسكونها في الأقوال والأفعال والحركات وبعبارة أخرى أن أقوالهم وأفعالهم منتظمة وفق التعاليم الشرعية.

وفي المكاره صبور:

وذلك عن ثبات وعلوّ همّه عن أحوال الدنيا[3].

ويشهد له ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٣٣.

(٢) جامع السعادات: ج١/ ص٢١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٣٣.

(٤) الكافي ج٢/ ص٨٩.

وتفسير هذه الرواية واضح فإن احتفاف الجنة بالمكاره وجهنم بالشهوات وهو الاحتفاف الوارد بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1].

وجاء في فضل الصبر على المصائب، قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: «**إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده، ثم تقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً**»[2].

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: «**إن الله ﷻ قال: يا جبرائيل ما جزاء من سلبت كريمته، قال: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال ﷻ: جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي**»[3].

كما روي عن الرمضاء أم سليم أنها قالت:

توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب، فقمت فسجيته في ناحية البيت، حتى قدم أبو طلحة، فقمت فهيأت له أفطاره، فجعل يأكل، فقال: كيف الصبي، فقلت: بأحسن حال بحمد الله ومنّه، فإنه لم يكن منذ اشتكى خيراً منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك، حتى أصاب مني حاجته، ثم قلت: ألا تعجب من جيراننا؟ قال: وما لهم؟ قالت: اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا، فقال: بئس ما صنعوا، فقلت: هذا ابنك كانت عارية من الله تعالى وإن الله

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) أحوال السالكين ص٣٦.

(٣) نفس المصدر.

قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع، ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال ﷺ «**اللهم بارك لهما في ليلتهما**»[1].

في الرخاء شكور:

الشكور: هو من عِرف انبساط رحمة الله سبحانه وتعالى عليه، والشكر عبارة عن تقدير نعمة المنعم، ويظهر آثار هذا التقدير في القلب وعلى اللسان وفي الأفعال.

أما ظهور آثار الشكر في القلب، فهي من قبيل الخضوع كما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «من انعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدّى شكرها»[2].

وأما أثار الشكر على اللسان فهو الثناء والمدح والحمد، وأشار إلى ذلك الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بقوله: «من حمد الله على النعمة فقد شكره، والحمد أفضل من تلك النعمة»[3].

وجاء في مصباح الشريعة الذي ينسب إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: في كل نفس من أنفاسك شكر لازم لك، بل ألف أو أكثر، وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة يتعلق القلب بها دون الله عز وجل والرضا بما أعطى، وأن لا تعصيه بنعمته ولا تخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته، فكن لله عبداً شاكراً على كل حال، تجد الله رباً كريماً على كل حال، ولو كان عبدَ الله تعالى

---

(١) أحوال السالكين: ص٣٨.

(٢) الكافي: ج٢/ص٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

عبادة تعبّد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال؛ لأطلق لفظة فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات وخص أربابها، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]. وتمام الشكر الاعتراف بلسان العزّ خالصاً لله ﷻ بالعجز عن بلوغ أدنى شكره؛ لأن التوفيق في الشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي أعظم قدراً وأعزّ وجوداً من النعمة التي من أجلها وفق له فيلزمك على كل شكر شكراً، أعظم منه إلى ما لا نهاية له مستغرقاً في نعمة عاجزاً قاصراً عن درك غاية شكره، فأنى يلحق العبد شكرنعمة الله، ومتى يلحق صنيعة بصنيعة والعبد ضعيف لا قوة له أبداً إلا بالله تعالى ﷻ. والله تعالى غني عن طاعة العبد فهو تعالى قوي على مزيد النعم على الأبد فكن لله عبداً شاكراً على هذا الوجه ترى العجب[2].

نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء:

نزل: أي: صير نازلاً، والمعنى أنهم صاروا نازلين في البلاء، كنزولهم في الرخاء.

أي لا تقنط من البلاء ينزل بها، ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين مقام الشكر[3].

أي: لا يضعف ولا يجبن على الشدة ولا يضطرب منها، بل يكون شجاعاً يقدم عليها ويتقبلها بقبول حسن ولا يبطر: أي لا يطغي

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) مصباح الشريعه/باب الشكر.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٥.

ولا يتكبر بالرخاء وكثرة النعم، بل يشكر الله عليه فمقامه في الحالين مقام الصبر والشكر[1].

قال القطب الراوندي: «أي: إن المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات فيطيبون نفساً بتلك المشقة التي يتحملونها، مثل: طيب القلب الذي نزلت نفسه في الرخاء[2].

أي: أنهم موطنون أنفسهم على ما قدره الله في حقهم من الشدة والرخاء والسرّاء والضرّاء والضيق والسعة والمنعة والمحنة، ومحصل وصفهم الرضا بالقضاء[3].

والرضا على قسمين:

الأول: الرضا الذي يكون من ثمار الحُب، فإن رضا المحب في رضا محبوبه، وإن كان رضا محبوبه في موت المحب لأحب الموت أو في ابتلائه لأحب الابتلاء، وقد ورد في الحديث: «إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضا اصطفاه»[4].

والثاني: قسم آخر للرضا أقلّ مرتبة من ذلك، وهو: الرضا الذي يكون من ثمرات العلم بأن الله تعالى لا يقدر لعبده إلا ما فيه خيره، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي،

---

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣١٩.

(٣) منهاج البراعة ج١٢/ ص١١٨.

(٤) المحجه البيضاء ج٨/ ص٨٨.

وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي؛ اكتبه يا محمد من الصدّيق عندي[1].

روي عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه أنه ابتلي في آخر عمرة بضعف الهرم والعجز، فزاره الإمام الباقر عليه السلام، فسأله عن حاله؟ فقال: أنا في حالة أحب فيها الشيخوخة على الشباب، والمرض على الصحة، والموت على الحياة، فقال الإمام الباقر عليه السلام: أما أنا يا جابر، فإن جعلني الله شيخاً أُحبّ الشيخوخة، وإن جعلني شاباً أُحبّ الشبيبة، وإن أمرضني أُحبّ المرض، وإن شفاني أُحبّ الشفاء والصحة، وإن اماتني أُحبّ الموت، وإن أبقاني أُحبّ البقاء.

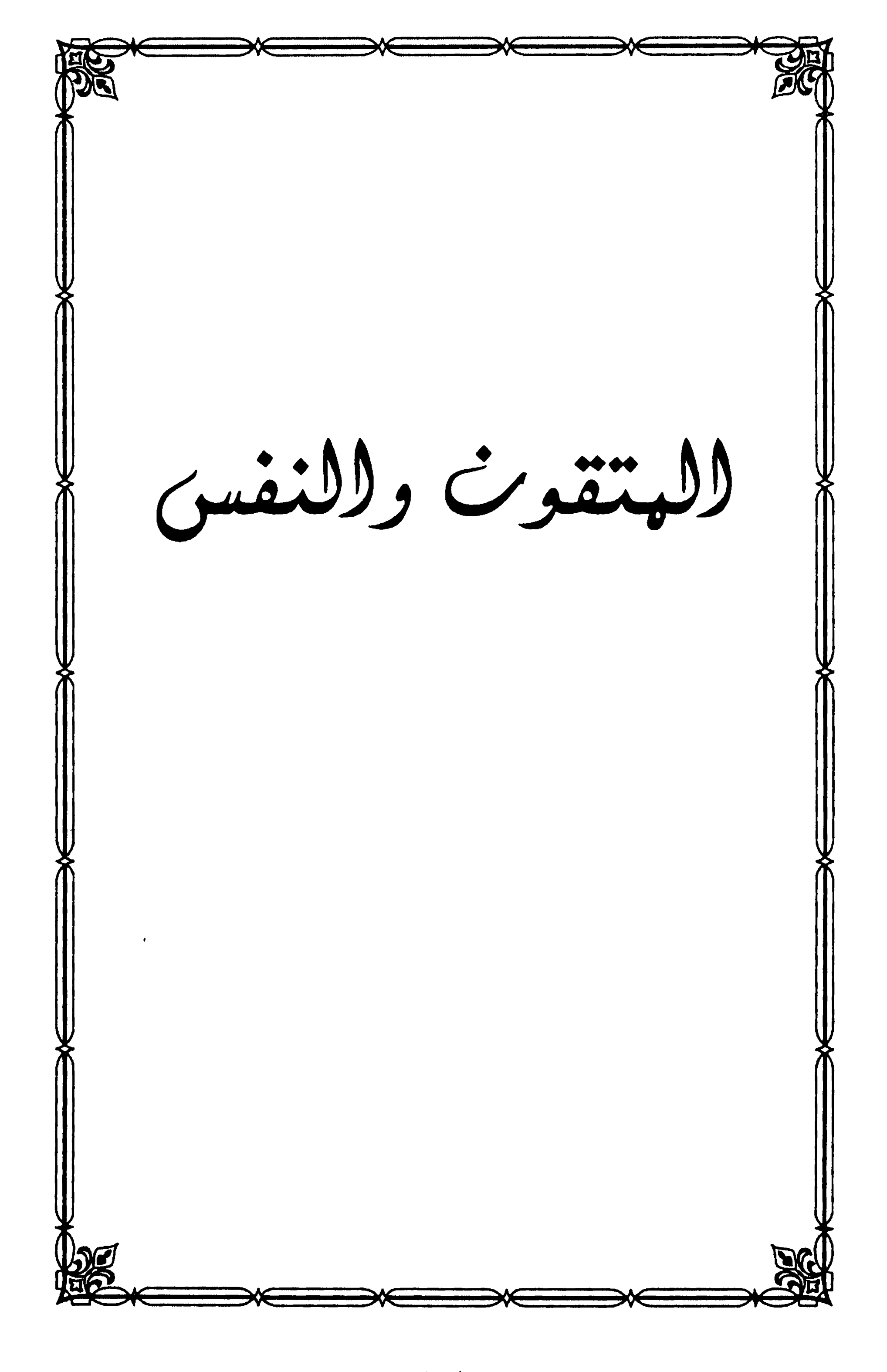
فلما سمع جابر هذا الكلام منه ـ وهو يدل على مقام التسليم الذي هو فوق مقام الصبر ـ قبّل وجهه وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه قال: ستدرك لي ولداً اسمه اسمي يبقر العلم بقراً[2].

جعلنا الله من الصابرين والمسلّمين إن شاء الله.



(١) أصول الكافي: ج٢/ص.٦١.

(٢) مسكن الفؤاد: .٨٢.



المتقون والنفس

المتقون والنفس



لا يرْضَوْنَ منْ أَعْمالهمُ القليل، ولا يَسْتكثيرُنَ الكثيرَ، فهُمْ لأنْفُسهمْ مُتَّهمُونَ، ومنْ أعمالهمْ مُشفقُون، إذا زُكِّى أحدُهُمْ خافَ ممَّا يُقالُ له، فيقُولُ: أنا أعلمُ بنفسي من غيري، وربِّي أعْلمُ بي منْ نفْسي، اللَّهمَّ لا تُؤاخذني بما يقولونَ، واجعلني أفضل مما يظُنُّون، واغفرْ لي مالا يعلمونَ.

إن اسْتصْعبت عليه نفسُهُ فيما تكرهُ لم يُعطِهَا سؤلها فيما تُحبُّ نفسُهُ منهُ في عناءٍ. والناسُ مِنهُ في راحةٍ أتعبَ نفسهُ لآخرتهِ، وأراح الناس منْ نفسهِ.

■ ■ ■

لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير:

لايقنعون بالقليل، لعلمهم بشرف الغايات المقصودة من العبادات، وأعظم ما يترتب عليها من الثمرات: وهو العتق من النار، والفوز بالجنة، والوصول إلى رضوان الله الذي هو أعظم اللذات وأشرف الغايات، ولا يستكثرون الكثير، أي: لا يعجبون بكثرة العمل، ولا يعدونه كثيراً وإن أتعبوا فيه أنفسهم وبلغوا غاية جهدهم؛ لمعرفتهم بأن ما آتوا بها من العبادات وإن بلغت في كثرتها غاية الغايات، زهيدة

قليلة في جنب ما يترتب عليها من الثمرات، كما أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام في الخطبة الثانية والخمسين بقوله: «فوالله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم بهديل الحمام، وجأرتم جؤار المتبتّلي الرّهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد، والتماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبه وحفظها رسله؛ لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه»[1].

هذا مع ما في استكثار العمل من العجب الموجب لإحباطه، والوقوع في الخزي العظيم والعذاب الأليم.

أقول: علاقة المؤمن بنفسه ونظرته إليها؛ يحددان مساره.

فالرضا بالقليل من العمل يستكثره ويعجب بنفسه، وينقاد لرغباتها ولا يتعهدها بالإصلاح، فهذا هو شأن الغافلين غير المغفول عنهم، وأما المتقون، فشأنهم الزهد في الكثير وعدم الرضا بالقليل، وهم لأنفسهم متهمون.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاثة قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه»[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال إبليس: «إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاثة؛ لم أبالي ما عمل، فإنه غير مقبول منه إذا استكثر عمله، ونسي ذنبه، ودخله العجب»[3].

عدم الرضا بعمل القليل وعدم عد الكثير كثيراً؛ يوجب ازدياد

---

(١) منهاج البراعة ج١٢/ ص١٣٣.

(٢) الخصال ص١١١.

(٣) الخصال ص١١١.

العمل فالمتقي حيث يتهم نفسه دائماً بقلة الأعمال، وأن أعماله القليلة غير مستكملة الشرائط، ويستمر في إتيان الأعمال الصالحة رجاء القبول وأداء التكليف.

عن أبي الحسن عليه السلام يقول: «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف»[1].

وفي الحديث قال موسى بن عمران لإبليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه[2].

فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون:

التهمة: اسم مصدر واتهمته في قوله، أي: شككت في صدقه، فالمعنى أن المتقين يتهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير في العبادة.

فتهمتهم لأنفسهم وخوفهم من أعمالهم يعود إلى شكهم فيما يحكم فيه أوهامهم من حسن عبادتهم، وكونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل إلى الله، فإن هذا الوهم يكون مبدأ للعجب بالعبادة والتقصير عن الازدياد من العمل والتشكيك في ذلك. وتهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمارة يستلزم خوفها أن تكون تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير مطابقه للواقع فتكون باعثة على العمل وكاسرة للعجب[3].

---

(١) الكافي: ج٢/ ص٣٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٢/ ص٣١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٩.

المراد أنهم يظنون بأنفسهم التقصير، أو الميل إلى الدنيا، أو عدم الإخلاص في النية، أو الأعم ويشكون في شأنها ونياتها ويخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء والسمعة، وأن تجرها العبادة إلى العجب فلا يعتمدون عليها[1].

الإشفاق: الخوف أو إشفاقهم من السيئات، وإن تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم، ومن الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط وشوب النية، أو للأعمال السيئة[2].

وقد مدح الله المؤمنين بذلك بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[3].

روي عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لبعض ولده: يا بني عليك بالجد، ولا تخرجن نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يُعبد حق عبادته[4].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل: «**لا يتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم في عبادتي؛ كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم، كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناني ورفع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا**»[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٥.
(٢) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٦.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.
(٤) الكافي ج٢/ ص٧٣.
(٥) الكافي: ج٢/ ص٧١.

وفي الرواية قال أبو الحسن عليه السلام: «اللهم لا تخرجني من التقصير، فسأله الراوي ما معنى لا تخرجني من التقصير؟ قال عليه السلام: كل عمل تريد به وجه الله فكن منه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون، إلا من عصمه الله»(١).

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب به، فقال عليه السلام: هو في حاله الأولى خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه(٢).

والسبب في ذلك؛ أن الإنسان مهما اجتهد وعمل لخالقه فهو مقصِّر، بحيث يخرج من تحت الصفر إلى الصفر فليس له حقّ على الله؛ لأنه إنما عمل لخالقه بأدوات أعطاها خالقه له، فاليد، والقوة، والعقل، والمال، وكل شيء: هو من عند الله فلا حق له على الله سبحانه وتعالى بعمله، اذن فبماذا يستحق أجراً عند الله؟!!

فهو مقصِّر في هذه الحالة، فكيف به إذا لم يستكمل عمله في عبادة الله، وكيف به إذا أذنب في محضر الله، والعالم كله محضر الله تعالى؟!!

ولهذا فإن الأنبياء والأولياء يستغفرون الله سبحانه، لا من ذنب أذنبوه والعياذ بالله، بل من تقصيرهم في عبادة الله وإخلاصهم له، فإنهم بما يجتهدون يخرجون من تحت الصفر إلى الصفر، فلا منقذ إلا رحمة الله سبحانه التي كتبها على نفسه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ

---

(١) المصدر نفسه: ج٢/ ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٢/ ص٣١٤.

عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له:

التزكية: المدح، فإن مدح المتقي بأوصاف ومدائح بما فيه من المحامد والأوصاف، ومكارم الأخلاق، ومراقبة العبادات، ومواظبة الطاعات؛ اشمئز منه ـ خاف مما يقال له ـ والناس في أغلبيتهم يحبون المدح والثناء، وهذا يلبي رغبات النفس، ويؤدي إلى إعجاب المرء بنفسه، فيقول أنا أعلم بنفسي وبعيوبها ـ من غيري وربي أعلم مني بنفسي ـ وإنما يشمئز ويخاف من التزكية؛ لكون الرضا بها يوصل للعجب وللاسترخاء والتقصير.

ولعله لهذا السبب قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[2].

لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها، فإني أعلم بها ليس هذا فحسب، بل يبادر المتقي بالدعاء إلى الله قائلاً: (اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون) فلا تؤاخذني بتزكية المزكين التي تسبب الاعجاب الموجب للسخط والمواخذة، واجعلني أفضل مما يظنون في التقوى والورع، واغفر لي الهفوات والآثام التي أنت عالم بها وهي مستورة عنهم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

☚ إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب:

والصعب: نقيض الذلول واستصعبت على فلان دابته، أي: صعبت واستصعبت عليه نفسه، أي: لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس وترك المعاصي؛ لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله[١].

لم يعطها سؤلها: لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الذي استصعبت عليه أو في غيره من اللذات؛ لتنقاد وتترك الاستصعاب، إذ إطاعة النفس في لذاتها توجب طغيانها وقوتها في الباطل وبعدها عن الله، ولذا نرى القوة على العبادة في المرتاضين ومن أنحلتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء والمترفين بالنعم[٢].

هذه إشارة إلى مقاومته لنفسه الأمارة بالسوء وعند استصعابها عليه وقهره لها على ما تكره، وعدم مطاوعته لها في ميولها الطبيعية ومحائبها[٣].

فالمتقي من شأنه كراهته للمعاصي ومحبته للحسنات ومن شأن النفس كراهتها للحسنات ومحبتها للمعاصي.

يقول الإمام عليه السلام: «إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره»، أي: نفسه إن لم تطعه في الإتيان بالعبادات التي تكرهها، وكان ميلها ومحبتها للمعاصي لم يعطها سؤلها ولا يطاوعها فيما تريد، بل يقهرها على ما تكره من الطاعات.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٣١.

وهذا الجهاد: أعني مجاهدة النفس، هو الذي سمّاه رسول الله ﷺ بالجهاد الأكبر.

عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ بعث سرية فلمّا رجعوا، قال: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر**»، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الاكبر؟ قال: «**جهاد النفس**»[١].

وقال ﷺ: «**إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه، والشديد من غلب نفسه، والمجاهد من جاهد نفسه، فالمتقي يجاهد نفسه لعلمه بأنها أعدى أعدائه**».

نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعبَ نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه:

نفسه الأمارة بالسوء؛ لمقاومته لها وقهرها ومراقبته إياها، والناس من أذاه في راحة لذلك[٢]؛ لأنه يتعبها بالعبادة والناس لايلقون منه عنتاً ولا أذى، فحالهم بالنسبة إليه بخلاف حال نفسه بالنسبة إليه[٣].

أتعب نفسه لقيامه بالطاعات والانتهاض لوظائف العبادات[٤].

أراح من شر نفسه ومكائدها؛ لأن مبدأ الشرور طغيان النفس، ومحبة الدنيا وهو بمعزلٍ عنها، ويحتمل أن يراد بالفقرة الأولى أن

---

(١) الوسائل: ج١١/ص١٣ (أبواب جهاد النفس).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ص٤٣٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ص١٦٠.

(٤) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج٩/ص١٤٣.

نفسه الأمارة منه في عناء وتعب؛ لمنعها عن هواها، وزجرها عن ردها، ومقاومته لها، وقهره عليها، ومراقبته إياها، والناس في راحة من شر نفسه ومناقشته ومنازعته في أمر الدنيا، ولعله أولى؛ لأن التأسيس خير من التأكيد[1].

والمتقي: الناس منه في راحة؛ لأن إيذاء الناس من هوى الأنفس فإذا كان قاهراً لها على خلاف هواها، يكون الناس مأمونين من شرها، مستريحين من أذاها، وجاء عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أصبح وهو لا يهم بظلم أحد غفر الله له ما اجترم**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**من خاف القصاص كف عن ظلم الناس**»[3].

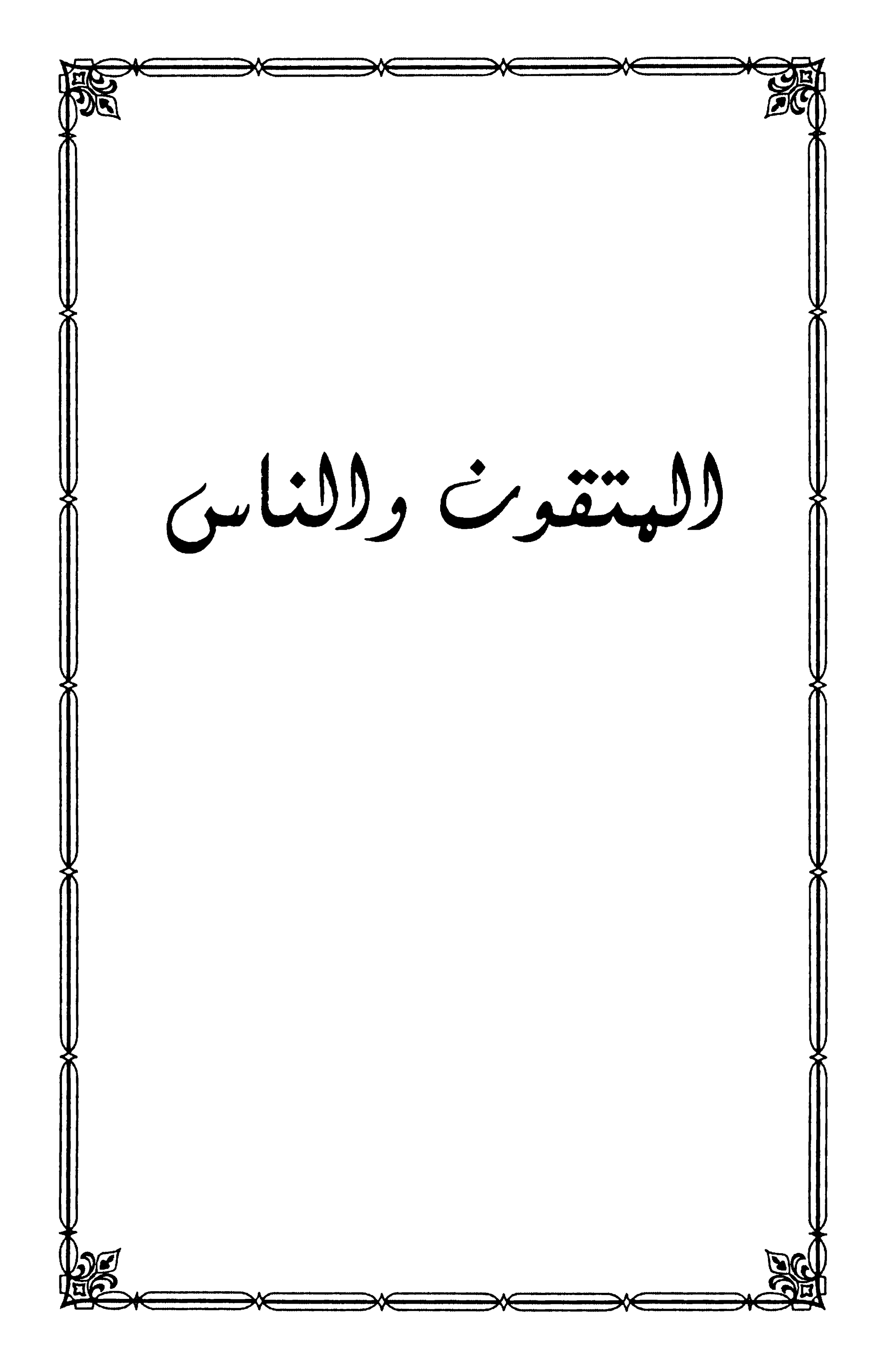
أتعب نفسه لمجاهدته لها ومخالفته لهواها وحمله إياها على ما تكره وردعه لها عما تحب لعلمه بأنها أمارة بالسوء وأنها أعدى أعدائه.



(١) المصدر السابق.

(٢) الكافي: ج٢/ ص٣٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ص٣٣٥.



المتقون والناس

المتقون والناس



الخيرُ منهُ مأمُولٌ، والشرُ منهُ مأمُون. غائباً مُنكرُهُ. حاضراً معرُوفُهُ. مُقبلاً خيرهُ. مُدْبراً شرهُ. يعفو عمَّنْ ظلمهُ، ويُعطي منْ حرمهُ، ويصلُ من قطعهُ. بعيداً فحشُه. ليناً قولُهُ. لايحيفُ على من يُبغضُ. ولايأثمُ فيمنْ يُحبُّ. يعترفُ بالحقِّ قبلَ أنْ يُشهدَ عليهِ. لا يضيعُ ما استُحْفظ. ولا ينسى ما ذُكر. ولا يُنابزُ بالألقابِ. ولايُضارُّ بالجار. ولا يشمتُ بالمصائب. ولا يدخلُ في الباطل. ولا يخرجُ من الحقّ. إن صَمَتَ لمْ يغُمهُ صمتُهُ، وإن ضحك لمْ يعْلُ صوتهُ. وإن بُغي عليه صبر حتى يكون اللهُ هو الذي ينتقمُ لهُ. بُعْدُهُ عمّنْ تباعد عنهُ زُهدٌ ونزاهةٌ. ودُنُوهُ ممنْ دنا منهُ لينٌ ورحمةٌ. ليسَ تباعُدُهُ بكبرٍ وعظمةٍ، ولا دُنُوُهُ بمكْرٍ وخديعةٍ.

■ ■ ■

الخير منه مأمول والشر منه مأمون:

الخير منه مرجوّ؛ لكثرة الخيرات الصادرة منه وغلبتها، يرجى ويؤمل منه الخير. وهذه الصفة من أولى مقتضيات الإسلام، فعن النبي الأكرم ﷺ قال: «**المسلم من سلم الناس من يده ولسانه**»[1].

(١) بحار الأنوار: ج١/ ص١١٣.

فكيف بمن ارتقى درجات في الإيمان والتقوى. فالمسلم الذي يكون حقاً مسلماً، الخير منه مأمول والشر منه مأمون، فلا يضر غيره بغير حقّ، ولا يشوه سمعة أخيه المسلم، ولا يغش أخيه المسلم، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً، فقد وصل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

عن إسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده إسحاق بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «أحسن من الصدق قائله وخير من الخير فاعله»[2].

قال أبو عبد الله عليه السلام: «أهل المعروف في الدنيا: هم أهل المعروف في الآخرة؛ لأنهم في الآخرة ترجع لهم الحسنات فيجيدون بها على أهل المعاصي»[3].

عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى عليه السلام قال: أخذ أبي بيدي، ثم قال يا بني إن أبي محمد بن عليّ عليه السلام أخذ بيدي كما أخذت بيدك، وقال: إن أبي علي بن الحسين عليه السلام أخذ بيدي وقال يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[4].

فالمتقون ليس لهم أعمال قبيحة محرمة مخالفة للشريعة، كالظلم، فمخالفة الشريعة خلاف التقوى.

---

(١) الوسائل: ج١١/ ص٥٢٤.
(٢) الوسائل: ج١١/ ص٥٢٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه: ص٥٢٨.

أكثر ما تصدر من المتقين الأعمال الصالحة الحسنة المتضمنة للرجحان الشرعي من الواجبات والمندوبات، فإنهم يقدمون إلى الناس ما بوسعهم تقديمه ويحسنون إلى من أساء.

غائباً منكره حاضراً معروفه:

قال ابن ميثم (قده): «في شرحه وذلك للزومه حدود الله»[1].

ونقل العلامة المجلسي (قده) عن والده وقال: «يمكن أن يراد بالمعروف والمنكر الإحسان والإساءة إلى الخلق، أي: ليس له أعمال قبيحة محرمة، بل له أعمال صالحة حسنة»[2].

وجاء في كتب اللغه: أن المعروف ما يستحسن من الأفعال، وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه[3].

وقيل عن المعروف: هو اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما[4].

وجاء في مجمع البيان أن المعروف الطاعة والمنكر المعصية، وكل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف، وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر[5].

ووصفهم أمير المؤمنين عليه السلام للأحنف بن قيس في حديث طويل بعد حرب الجمل وفيه قوله عليه السلام:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٣٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٧/ ص٣٢٩.
(٣) لسان العرب لابن منظور: ٩: ٢٣٩.
(٤) المفردات: ص٣٣١.
(٥) مجمع البيان: ج١/ ص٤٨٣.

«فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور وقد نهنههم (منعهم) هول يوم القيامة والوعيد عن الرقاد، كما قال سبحانه: أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون، فاستيقضوا لها فزعين، وقاموا إلى صلاتهم معولين باكين تارة وأخرى مسبحين، يبكون في محاريبهم، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياماً على أطرافهم منحنية ظهورهم، يتلون أجزاء القرآن لصلاتهم، وقد اشتد أعوالهم ونحيبهم وزفيرهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت قد صفدت في أعناقهم، فلو رأيتهم في نهارهم إذا لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً ويقولون للناس حسناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، واذا مروا باللغوا مروا كراماً، قد قيدوا أقدامهم من التهمات، وأبكموا ألسنتهم أن يتكلموا في أعراض الناس، وسجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض، وكحلوا أبصارهم بغض النظر عن المعاصي، وانتحوا دار السلام التي من دخلها كان أمناً من الريب والأحزان»[١].

مقبلاً خيره مدبراً شره:

قال ابن ميثم (قده) في شرحه: «وهو كقوله الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، ويحتمل بإقبال خيره أخذه في الازدياد من الطاعة، وتشميره فيها وبقدر ذلك بكون إدباره عن الشر؛ لأن من استقبل أمراً وسعى فيه بعد عما يضاده وإدباره عنه»[٢].

---

(١) منازل الآخرة: ص٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٣٣.

وقال العلامة المجلسي (قده): «يمكن أن يراد بالإقبال الازدياد، وبالإدبار الانتقاص، أي: لايزال يسعى فيزداد خيره وينتقص شره»[1].

الازدياد في الخير يعارض من غشه بالنصيحة، ويجزي من هجره بالبر، ويكافي من قطعه بالصلة، ويثيب من حرمه بالبذل، ويخالف من اغتابه إلى حسن الذكر، ويشكر الحسنة، ويغض عن السيئة، ومثال ذلك..

ذات يوم كان شيخ الفقهاء والعظماء المرحوم الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) رحمه الله في أصفهان، وقبل أن يبدأ صلاة الجماعة وزع مبلغاً من المال على الفقراء، ثم افتتح الصلاة وبعد انتهائه من الصلاة الأولى، وبين الصلاتين جاء سيد فقير لم يكن حاضراً عند تقسيم المال وعرف بذلك فقال للشيخ:

اعطني من مال جدي.

قال الشيخ: لقد جئت متأخراً ولم يبقَ لدي شيء أعطيك إياه..

فغضب السيد وبصق في وجه الشيخ، فقام الشيخ في المحراب، وأخذ طرف ردائه بيده ودار بين صفوف المصلين وهو يقول: من كان يحب لحية الشيخ فليساعد السيد، وملأ الناس رداء الشيخ بالمال فأعطاه الشيخ للسيد ثم وقف يصلي.

تأمّل جيداً في هذا الخلق الشريف وإلى أي حدّ بلغ بهذا العظيم الذي كان رئيس المسلمين وحجة الإسلام وفقيه أهل البيت عليهم السلام، وكانت فقاهته بحيث إنه ألف كتاب (كشف الغطاء) في السفر ونقل

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٧/ ص٣٣٩.

عنه أنه كان يقول: لو محيت الكتب الفقهيه كلها فإني أكتب دورة فقهية كاملة من الطهارة إلى الديات عن ظهر قلب، وكان أولاده جميعاً فقهاء وعلماء أجلّة[1].

مكارم الأخلاق

يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه:

والعفو: فضيلة تحت الشجاعة، وأخص من الظلم ليتحقق عفوه مع قوة الداعي إلى الانتقام[2].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5].

والأخبار في مدح العفو أكثر من أن تحصى ومنها:

قال النبي الأكرم ﷺ: **«ثلاث والذي نفسي بيده، إن كنت حالفاً لحلفت عليهن: ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا، ولا عفى رجل من مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا أزاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»**[6].

---

(١) منازل الآخرة: ص٨٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٤/ص٣٣٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٦) جامع السعادات: ج١/ص٢٣٥.

وقال النبي ﷺ: «**العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فأعفوا يعزكم الله**»[1].

وقال النبي ﷺ: «**قال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك أعز عليك، قال: الذي إذا قدر عفى**»[2].

يعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخاء[3].

والغالب في الصلة والقطع: الاستعمال في الرحم، وقد يستعملان في الأعم أيضاً[4].

وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾[5].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كان منه على مسير سنه، فإن ذلك من الدين**»[6].

وقال النبي ﷺ: «**إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم**»[7].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٢٩.

(٥) سورة الرعد، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.

(٦) الوافي: ج٣/ ص٩٣.

(٧) جامع السعادات: ج٢/ ص٥١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته: «**لأخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وعطاء من حرمك**»[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لا يزيد الله بهن المرء إلا عزاً: الصفح عمن ظلمه، وعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لعقبه: «**لأخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**»[3].

وقال سيد الساجدين عليه السلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ: أين أهل الفضل، قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة، فيقولون: وما فضلكم فيقولون: كنا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمن ظلمنا، فيقال لهم: صدقتهم أدخلوا الجنة[4].

دلت الروايات المباركة على أن مكارم الأخلاق وقوامها هذه الصفات الثلاثه، فالأولى: وهي العفو فإنها صفة من الصفات الإلهية، وقد يُمدح الله به في مقام الخضوع والتذلل، وقال سيد الساجدين عليه السلام: «أنت الذي عفوه أعلى من عقابه».

فالمتقون يلتذون بلذة العفو، ألذ عندهم من لذة العقوبة.

---

(١) الكافي: ج٢/ ص١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٢/ ص١٠٨.

(٣) جامع السعادات: ج١/ ص٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه.

بعيداً فحشه:

بعيد الفحش: ليس يعني أنه قد يفحش تارة ويترك تارات، بل لا يفحش له أصلاً، فكنى عن العدم بالبعد[1].

أنه قلّما يخرج في أقواله إلى ما لاينبغي[2].

وقد يعبّر بالبعد عن العدم ويحتمل القلة، فإن التقوى غير العصمة[3].

الفحش: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارة الصريحة، وأهل الإصلاح يتحاشون من التعرض لها، بل يكنون عنها أو يعبرون عنها برموز، وأما أهل الفساد يستعملون العبارات الصريحة، وقد وردت الروايات بالنهي عن استعمال بعض الألفاظ بالعبارات الصريحة، ولا ريب في كونها محرمة بأسرها.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه ان يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه[4].

عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل للحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له»**[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ص١٥٩.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢٣.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٤/ ص٣٢٩.
(٤) الوسائل: ج١١/ ص٣٢٧.
(٥) الكافي: ج٢/ ص٣٢٣.

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إذا رأيتم الرجل لايبالي ما قال ولا ما قيل له فإنه لغية أو شرك شيطان»**[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله يبغض الفاحش المتفحش»[2].

عن سماعة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: مبتدئاً: يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك؟ إياك أن تكون فحّاشاً سخاباً أو لعاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك أنه ظلمني، فقال: إن كان ظلمك لقد أوتيت عليه، إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد قلت: استغفر الله ولا أعود[3].

ليّناً قوله:

أي: يتكلم بالرفق، ولا يغلظ في كلامه، فإن الرفق بالقول يوجب المحبة، ويجلب الألفة، ويدعو إلى الإجابة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذلك أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام عندما بعثهما إلى فرعون بأن يقولا له قولاً ليناً؛ ليكون أسرع إلى القبول وأبعد إلى النفور[4].

وإن من صفات الأنبياء: لين بالقول عند المحاورة، وهو من جزء التواضع، وقال الله تعالى إلى موسى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ

---

(١) المصدر نفسه: ج٢/ ص٣٢٣.
(٢) الوسائل ج١١/ ص٣٢٧.
(٣) الوسائل: ج١١/ص٣٢٨.
(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٢/ ص١٥١.

طَغَىٰ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

وورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس، والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغنائك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الهين القريب اللين السهل**»[4].

عن أبي البختري قال: سمعته يقول: المؤمنون هيّنون ليّنون، كالجمل الألف إن قيد انقاد، وإن أُنيخ أناخ[5].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ذي الإيمان الفقه، ومن ذي الفقه الحلم، ومن ذي الحلم الرفق، ومن ذي الرفق اللّين، ومن ذي اللّين السهولة»[6].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**المؤمن هيّن ليّن، سمح له خلق حسن، والكافر فظّ غليظ له خلق سيئ وفيه جبريّه**»[7].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) أصول الكافي: ج٢/ ص١٤٩.
(٤) الوسائل: ج٨/ ص. ٥١١.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الوسائل: ج٨/ ص. ٥١١.

وعليه فالمتقون رحماء بينهم، يتكلمون بالرفق مع الآخرين، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت الآخرين، وهذه الصفة من صفات النبي الأكرم وأهل بيته عليهم السلام.

لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب:

حاف يحيف حيفاً: جار وظلم سواء كان حاكماً أو غير حاكم فهو حائف[١].

وبسبب الحيف والظلم مع قيام الداعي إليها وهو البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه[٢].

لا يأثم فيمن يحب: وهو سلب رذيلة الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحب أما بإعطائه ما لا يستحق، أو دفع ما يستحقه عنه، كما يفعل قضاة السوء وأمراء الجور، فالمتقون لا يأثمون بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه، وهو المحبة، بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء[٣].

ويتضح من هاتين الفقرتين أنه لا يخرجه الحب والبغض عن تكليفه الشرعي إلى ما يخالف الحق، كما هو شأن قضاة السوء ووظيفة أهل الهوى. وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه: يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، واحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من

---

(١) المصباح المنير: ص١٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ج٣/ ص٤٢٣.

غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك[١].

والظلم المراد به ما هو ضدّ العدالة، وهو التعدي عن الوسط في أي شيء كان، وهو جامع للرذائل ويراد به ما يرادف الأضرار بالغير.

يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه:

وذلك لتحرزه في دينه من الكذب، إذ الشهادة إنما يحتاج إليها مع إنكار الحق وذلك كذب[٢]؛ لأنه إن أنكر ثم شهد عليه فقد ثبت كذبه، وإن سكت ثم شهد عليه فقد أقام نفسه في مقام الريبة[٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكماً لغيره»[٤].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سيد الأعمال انصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال**»[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «إلا أنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً»[٦].

---

(١) نهج البلاغة: ج٣ وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣/ ص٤٢٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ص١٥٩.
(٤) الوسائل ج١١/ ص٢٢٤.
(٥) المصدر نفسه: ج١١/ ص٢٢٥.
(٦) المصدر نفسه: ج١١/ ص٢٢٥.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله جنة لا يدخلها إلا ثلاثه: أحدهم من حكم في نفسه بالحق»[1].

عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ألا أخبرك بأشد ما افترضه الله على خلقه: إنصاف الناس من أنفسهم»[2].

والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أيام مرضه جمع الناس في المسجد وقال: أيها الناس هل لكم عليّ حق؟ من كان له عليّ دين أو حق فليقل، فقام رجل يُسمى سوادة بن قيس للنبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فاصاب بطني، فأصرّ النبي صلى الله عليه وآله أن يقتص منه، فقال: اكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه فقال سوادة اتأذن لي ان اضع فمي على بطنك فأذن له فقال: أعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النار، فقال صلى الله عليه وآله: «**يا سوادة بن قيس اتعفوا أم تقتص**»؟ فقال: بل أعفوا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله: «**اللهم اعفُ عن سوادة بن قيس، كما عفى عن نبيك محمد صلى الله عليه وآله**».

وقد كان النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام المثل الأعلى لإنصاف الناس من أنفسهم، فهذا يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه.

ما أروع هذا الدرس فالمتقي إذا لم يعترف بالحق قبل أن يشهد

(١) المصدر نفسه: ج١١/ص٢٢٦.
(٢) المصدر نفسه.

عليه، فليس هو من أهل الكمال وأهل التقوى العملية، وهذا أصعب شيء على النفس.

لا يضيع ما استحفظ:

لا يضيع، أي: ما ودع عنده من الأموال والأسرار، والتضييع في الأول من الخيانة والتفريط، وفي الثاني بالإذاعة والإفشاء ويحتمل شمول لما استحفظه الله من دينه وكتابه[1].

أي: لا يضيع أماناته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه؛ وذلك لورعه ولزوم حدود الله[2].

ضدّ الخيانة الأمانة، وقد ورد في مدحها أخبار كثيرة عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر الفاجر[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فان علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة[4].

ولقد قال لقمان ما بلغت إلى ما بلغت إليه من الحكمة إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٩.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٣.
(٣) جامع السعادات ج١/ ص١١٤.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

والأمانة من أشرف صفات الأنبياء والأوصياء؛ لأنهم أمناء الله على خلقه وعلى تبليغ أوامره ونواهيه، فمن تحلى بهذه الصفة كان مشاركاً الأنبياء والأوصياء بهذا الشرف.

ولا يضيع ما استحفظ كناية لبعده عن الخيانة لأن الخيانة من أرذل صفات المشركين والمنافقين فمن اتّصف بها كان أسوء حالاً منهم أولئك لم يقيدهم دين ولم تهذبهم شريعة بخلاف هذا المسلم الذي يتصف بهذه الصفه المشؤمة فإن شريعته تأمره باجتنابها وتنهاه عن التلوث بها.

☚ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالألقاب:

أي ما أمر بتذكره من آيات الله وعبره وأمثاله أو الأعم منها ومن أحكام الله والموت والمصير إلى الله وأهوال الآخرة[١].

ما ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وأمثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومته ملاحظتها وكثرة أخطارها بباله والعمل بها الغاية المطلوبة منه[٢].

والنبز بالتحريك: لقب قيل وأكثره فيما كان ذماً والمنابزة والتنابز التعاير والتداعي بالالقاب[٣].

التنابز عبارة عن ذكر بعض الناس بلقب أسوء مما يكره كالفاسق والسفيه ونحو ذلك من التعيير فإنه خلاف لما يريده الشرع.

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٣.

(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٩.

وذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾[1].

وسر ذلك النهي هو كون ذلك مستلزماً لإثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقه المضاده لمطلوب الشارع[2].

فالتنابز بالألقاب يوجب العداوة والبغضاء بين الناس فلهذا ورد النهي عنه في الكتاب ﴿...وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ وجاء في الروايات عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من أذاع فاحشة كان كمبتديها ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»**[4].

ولا يضار بالجار:

لا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[5].

ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله في المرفوع إليه أوصاني ربي بالجار حتى ظننت أنه سَيُورثُهُ والغاية من ذلك هي الألفة والاتّحاد في الدين[6].

وحق الجوار قريب من حق الرحم إذا الجوار يقتضي حقاً وراء

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٤.
(٣) الوسائل ج٨/ ص٥٩٦.
(٤) نفس المصدر.
(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٣٤.

ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم فمن قصر في حقه عداوة أو بخلاً فهو آثم قال رسول الله ﷺ **«الجيران ثلاثه فمنهم من له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابه ومنهم من له حقان حق الجوار وحق الإسلام ومنهم من له حق واحد»**[1].

عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمن من أمن جاره بوائقه، قلت: وما بوائقه؟ قال: ظلمه وغشمه[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«حسن الجوار يعمر الديار وينسئ[3] في الأعمار»**[4].

وجاء في الروايات ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره وحسن الجوار ليس كف الأذى عن الجار فحسب بل هو مع تحمل الأذى منه والصبر على أذاه وورد من آذى جاره حرم عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير.

وقال النبي ﷺ: **«ومن ضيع حق جاره فليس منا»**[5].

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق (وحق جارك حفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونُصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة.

---

(١) جامع السعادات ج٢/ ص٧.

(٢) الكافي ج٢/ ص٤٣٤.

(٣) ينسئ: أي يزيد.

(٤) نفس المصدر.

(٥) الوسائل ج٨/ ص٤٨٨.

ولا تبحث له عن سوأةٍ لتعرفها، فإن عرفتها منه من غير إرادةٍ منك ولا تكلّف كنت لما علمت حصناً حصيناً، فإن علمت عليه سوءاً سترتهُ عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ولا تسلمه عند شدائده وتقيل عثراته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرةً كريمةً ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك ولا تخرج أن تكون سلماً له ترد عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ولا يشمت بالمصائب:

وذلك لعلمه بأسرار القدر وملاحظته لأسباب المصائب وأنه في معرض أن تصيبه فيتصور أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره[1].

لأن المصائب النازلة إنما هي بقضاء من الله ﷻ وقدره والشامت بسبب نزولها بغيره في معرض أن تصيبه والأخبار تدل على أن كل من شمت بمسلم في مصيبه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلي بمثلها ويشمت به غيره.

فيما قاله الإمام الصادق عليه السلام من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن[2].

ومن الواضح على أن كل مصيبة ترد على المسلم يمكن أن تكون كفارة لذنوبه أو علو مرتبة في الآخرة والدليل على ذلك أن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٥٤.

(٢) الكافي ج٢/ ص٢٥٩.

أعظم المصائب أصابت أنبياء الله وأولياءه ولا ريب في أن ورود المصاب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم وإساءتهم بل لعلو مقامهم ومرتبتهم وعليه يمكن القول بأن نزول المصيبة بالغير لا تدل على سوء حاله عند الله بل الأرجح دال على حسن حاله وتقربه عند الله والشماته الغالب صدورها عن العداوة والحسد وعلامته أن يكون معه فرح ومسرة وهي من الجهل بقضاء الله ﷻ، والمتقون هم أهل العلم والمعرفه مضافاً إلى أن في شماتة المؤمن كسراً لقلبه وإدخالاً للحزن عليه وهو خلاف غرض الشارع.

ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق:

أي لا يدخل فيما يبعده عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب إليه من مطالبه الحقه وذلك لتصور شرف غايته[١].

لا يدخل في مجالس الفسق واللهو والفساد والمراد عدم ارتكابه الباطل وكذا الخروج من الحق أي من مجالسه وعدم ترك الحق[٢].

ودخول المتقي في مجالس الفسق واللهو والفساد وخروجه عن مجالس الحق والصلاح خلاف ما يريده الشرع وجاء عن أهل البيت عليهم السلام النهي عن مجالسة أهل الباطل.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٤.
(٢) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٢٩.
(٣) الوسائل ج١١/ ص٥٠٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس مجلساً ينتقص فيه إمام أو يعاب فيه مؤمن[2].

عن علي بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام مجالسة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار[3].

عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

فآثار التقوى نراها منعكسة على سلوكهم في حال تعاملهم مع الناس ومع أنفسهم.

إن صمت لم يغمّه صمته:

كونه لا يغمّه صمته لوضعه كلًّا من الصمت والكلام في موضعه وإنما يستلزم الغمّ والصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الوسائل ج١١/ ص٥٠٤.

(٣) الوسائل ج١١/ ص٥٠٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٤.

لعلمه بمفاسد الكلام وعدم التذاذه بالباطل من القول أو إشغال قلبه حين الصمت بذكر الله[١].

لا يحزن لفوات الكلام لأنه يرى الصمت مغنماً لا مغرماً[٢] وكثرة صمته بسبب علمه أن الأقوال أكثرها فاسده متعلقة بما لا يعني وأن الكلام يشغل السر عن التجرد لذكر الله ويمنع استكماله بالمعارف والحكمة وأن الصمت يلحق بها[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه**»[٤].

وقد ورد في الروايات نجاة المؤمن في حفظ لسانه ومسك لسانك صدقه تصدّق بها على نفسك ولا يعرف العبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه وأنه باب من أبواب الحكمة وأنه دليل على كل خير[٥].

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة أنه دليل على كل خير[٦].

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**نجاة المؤمن في حفظ لسانه**»[٧].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٠.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٦٠.
(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٣٠.
(٤) الكافي ج٢/ ص١١٦.
(٥) انظر الكافي ج٢/ باب الصمت وحفظ اللسان.
(٦) الكافي ج٢/ ص١١٣.
(٧) الكافي ج٢/ ص١١٤.

وقد ورد أن بعض الصحابة كان يقول: وهو علي يا لسان قل خيراً تغنم أو أسكت تسلم قبل أن تندم، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا الذي تقوله منك أو شيء سمعته؟ قال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ: «**إنّ أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**».

واذا ضحك لم يعلُ صوته:

وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه[1].

لا يشتد صوته أو يكتفي بالتبسم اذ الخروج عنه يكون غالباً الضحك بالصوت العالي والواسطة نادرة[2].

هكذا كان ضحك رسول الله ﷺ أكثره التبسم ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: القهقهة من الشيطان[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ضحك المؤمن التبسم[5].

عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال الصادق عليه السلام كم ممن كثر ضحكه لاغياً يكثر يوم القيامة بكاؤه وكم ممن كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامه في الجنة ضحكه وسروره[6].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠/ ص١٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٤.

(٣) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٠.

(٤) الوسائل ج٨/ ص٤٧٩.

(٥) الوسائل ج٨/ ص٤٧٩.

(٦) الوسائل ج٨/ ص٤٨٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تبسم المؤمن في وجه أخيه حسنة وصرفه القذى عنه حسنة وما عبد الله بمثل إدخال السرور على المؤمن(١)، وضحك المؤمن عبارة عن تبسم ومن آثار كثرة الضحك يكثر يوم القيامة بكاؤه، وكلما ضحك الإنسان في الدنيا أكثر بكى في الآخرة أكثر، وبالإضافة إلى ذلك فاعتياد الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة ومذهل عن التفكير في النوائب ودليل على غفلة القلب.

وإن بُغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له:

إن ظلم لم ينتقم هو بنفسه من الظالم بل يكل أمره إلى الله لينتصر(٢) صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام الله له وذلك منه نظراً إلى ثمرة الصبر وإلى الوعد الكريم ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾(٣) وقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾(٤)(٥).

عن أبي عبد الله عليه السلام إن أعجل الشر عقوبه البغي(٦).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أسرع الخير ثواباً البر وإن أسرع الشر عقوبة البغي(٧).

---

(١) الوسائل ج٨/ ص٤٨٤.
(٢) شرح أصول الكافي ج٩/ ص١٤٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٦٠.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٦.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٤.
(٦) الوسائل ج١١/ ص٣٣٢.
(٧) الوسائل ج١١/ ص٣٣٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام في وصيته لأصحابه قال: وإياكم أن يبغي بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغي صير الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بغي عليه ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله[1].

وقال من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو بغي جبل على جبل لجعله الله دكاً، اعجل الشر عقوبة البغي وأسرع الخير ثواباً البر**»[2].

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**لو بغي جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً**»[3].

بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ليس تباعده بكبر وعظمة:

يعني بعده ممن تباعد عنه لما انهمكوا فيه من الدنيا والأعمال القبيحه نزاهه عن التلوث به بمشاهدته لا عن كبر وتعظيم عليه كما هو شأن المتكبرين المتباعدين من الصلحاء وغيرهم[4]

الزهد خلاف الرغبه وكثيراً ما يستعمل في عدم الرغبه في الدنيا والنزاهه بالفتح التباعد عن كل قذر ومكروه، وإنما كان تباعده زهداً ونزاهه لأنه إنما يرغب عن أهل الدنيا وأهل الباطل وقيل النزاهة عن تدنيس العرض[5].

---

(١) الوسائل ج١١/ ص٣٣٣.

(٢) الوسائل ج١١/ ص٣٣٤.

(٣) الوسائل ج١١/ ص٣٣٤.

(٤) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٣.

(٥) بحار الأنوار ج٦٤/ ص٣٣٠.

إن تباعد المتقي عمن تباعد عنه من باب المواظبة على الوظائف والآداب الشرعية فليس بكبر أو عظمة فبعده عن أهل الدنيا وعن مجالسهم من باب الزهد والتباعد عن مكرهم وأباطيلهم التزاماً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وعن النبي ﷺ: «**جالسوا من يذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه**»[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره[3].

وعليه فالمتقون بعدهم عن الآخرين ودنوهم منهم لا تحكمه المصالح الضيقة والأهواء والنوازع النفسيّة.

ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ولا دنوه بمكر وخديعة:

دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار[4].

دنوه ممن دنا منه لين ورحمة منه لهم لا مكر بهم ولا خديعة كما هو حال خبيث الأخلاق[5].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٥.
(٢) الكافي ج١/ ص٢٩.
(٣) الوسائل ج١١/ ص٥٠٣.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤٢٥.
(٥) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩/ ص١٤٣.

قرب المتقي من المؤمنين من باب التعاطف كما وصف الله سبحانه النبي والمؤمنين بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تواصلوا وتبارو وتراحموا وكونوا أخوه بررة كما أمركم الله عز وجل[2].

عن شغيب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا أخوه بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين تزاورو وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله[4].

عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إن الله عز وجل رحيم يحب كل رحيم»**[5].

إن المكر والخديعة لا تصدر من المسلم فضلاً عن المتقي.

عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) الكافي ج٢/ ص١٧٥.

(٣) الوسائل ج٨/ ص٥٥٢.

(٤) الوسائل ج٨/ ص٥٥٢.

(٥) الوسائل ج٨/ ص٥٥٣.

رسول الله ﷺ: **«من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرائيل يقول إن المكر والخديعة في النار ثم قال ليس منا من غش مسلماً وليس منا من خان مسلماً»**[(١)].

إن المتقين ليس تباعدهم عن الآخرين بكبر وعظمة ولا دنوهم للآخرين بمكر وخديعة كما هو فعل أبناء الدنيا وذوي الأغراض الفاسده ومن شأن أهل النفاق يخادعون الله وهو خادعهم ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(٢)].

قال الراوي: ولما سمع همام تلك الأوصاف للمتقين صعق صعقه كانت نفسه فيها.

قال ابن أبي الحديد أغمي عليه ومات قال الله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[(٣)(٤)].

وقال المجلسي (قده): وصعق كسمع: أي غشى عليه من صوت شديد سمعه أو من غيره وربما مات منه وكانت نفسه فيها أي مات بها ويحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة كما هو الغالب في هذا المقام ويراد بكون نفسه فيها خروج روحه بخروجها[(٥)].

همام هو بن شريح بن يزيد بن مره بن عمر بن جابر بن عوف الأصهب[(٦)].

---

(١) الوسائل ج٨/ ص٥٧١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ج٧/ ص١٦٠.
(٥) بحار الأنوار ج٦٧/ ص٣٣٠.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣/ ص٤١٣.

وهو من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وخواصه وكان عابداً ناسكاً مجتهداً كما صرح بذلك أبو عبد الله عليه السلام حيث قال: قام رجل يقال له همام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً[1].

مما يدل على عظمته وجلال شأنه وكمال نفسه وزهده وورعه وتراه أنه صعق ووقع صريعاً بمجرد ما سمع من مولاه أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب.

اللهم اجعلنا ممن يسمع الكلام الحسن فيتّبعه، ويسمع الكلام السيئ فيجتنبه، اللهم اجعلنا ممن يلزُم الحقّ ويعمل به، ويبتعد عن الباطل وينهى عنه، اللهم اغفر لنا خطايانا وقرّبنا إليك بالطاعة واجعل عواقب أمورنا خيراً. اللهم أنت ربي مَنْ لي غيرك يكشف ضرّي ويأخذ بيدي ويكون سندي وموئلي. اللهم أنت ربي وأنا عبدُك، أقرّ واعترف بأني مفتقر إليك راغب فيما عندك فلا تحرمني، وتفضل عليّ بالتوبة يا رحمن يا رحيم يا من يسمى بالرحمن الرحيم ارحمني وتب عليّ وعلى والدي يا أرحم الراحمين آمين ربِّ العالمين.



---

(١) الكافي ج٢/ ص٢٢٦ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح١.

المحتويات